السنة الاولى العدد ٢٢ ١٥ ت ٢ سنة ١٨٩٨

المشرق

رأي المقتطف في العقل البشري

للاب لويس شيخو اليسوعي

١

صدَّر المقتطف في شهر نيسان المنصرم (ص ٢٥٢) بعض مقالاته بهذا العنوان « لا عداء في العلم ». وهو قولٌ نصًّا اثبتهُ بمثل العلّامة الانكليزي ميثار الذي مع كونهِ « من الكاثوليك الشديدي التمسك بعقائد الكنيسة البابويَّة » لم يانف بعد وفاة خصمهِ هكسلي « الكافر بكل العقائد الدينية » ان يكتب فيهِ مقالة يُثني بها على صفات قرنهِ الحسنة مع التنديد بمبادئهِ التي طالما فنّدها ميثار جهارًا

(قلنا) أنَّنا نحن ايضًا نُسرّ بفقرات جيّدة يكتبها اصحاب المقتطف فيستحقّون بنشرها ثناء الجمهور ويوسّعون بها نطاق المعارف. الَّا أنّنا كثيرًا ما نرى ايضًا بين المقاطيع الواردة في تلك المجلّة العلمية مقالات تناقض المبادئ الصحيحة ولذلك لا يسعنا الّا تفنيدها لا معاداةً للعلم بل مراعاةً للحقّ والصواب

واذا استقرينا المقالات التي دوّنت في صفحات المقتطف منذ غرّة هذه السنة لا نكاد نجد عددًا واحدًا يخلو من كلام يستهدف بهِ لعذل المتقدين ويتصدّى لسهام العائبين لانّ كثيرًا من هذه النُبَذ يُستشفّ من ورائها ما يُشعر بمذاهب الدهريين ويُلمّ بمزاعم الماديين ويعضد اوهام الدروينيّين كالمقالات التي عنوانها: فلسفة جديدة (ص ١ — ٥) والقتل والعمران (٤١—٤٥) وقراءة الضمير (٦٤) والمذاهب الفلسفية (١٦٩—١٩٤) وتعلّم الحيوان (٢٤١—٢٤٥) وتولّد العقول (٢٤٦—٢٥١) والمراكز العقلية (٤٠٤—٤٠٦) وهلمّ جرًّا. هذا الى ما يعرّبونهُ من مقالات الكافر الشهير هربرت سبنسر كآرا،

الاوَّلين (ص١٨٣—١٨٨) والموت والقيامة (٢٥٧—٢٦٠) والحياة بعد الموت (٣٢٩—٣٣٤) والعالم العتيد (٤١٦—٤٢٢) وتسلُّط الارواح (٥٠٩—٥١٣) والعرافة والسحر (٥٨٥—٥٨٦) والمعابد والمذابح والصوم والصلاة (٧٢٩—٧٣١). ففي كلّ هذه الكتابات خواطر شتَّى تستدعي الردود على مؤلّفيها. بيد انَّ ذلك يقتضي اسفارًا مطوّلة بل كتبًا ضخمة تلجئنا الى ان نكتفي بالبعض عن العدّ وبالنزر عن الكثير. وفي الاسطر التالية نجتزئ بتخطئة ما ورد في المقتطف عن «تولُّد العقول» في عدده الرابع من السنة الجارية (ص ٢٤٦ — ٢٥١). وقد ضمن هذه المقالة اشياء كثيرة في العقل وخواصه جاءت عثرة في سبيل السذَّج وخدشة لمسامع ذوي النهى فضلًا عن اصحاب الدين

ولئلّا يظنَّ بعض القرَّاء انَّ في حكمنا مغالاة او انَّنا ننسب الى المقتطف ما هو براء منهُ احببنا ان نورد بعض اقواله بحرفها. قال المقتطف (ص ٢٤٦): «نريد بالعقل مجموع افعال الدماغ والاعصاب سواء شعر بها صاحبها او لم يشعر»

وفي الصفحة التالية يُعيد المقتطف تحديده السابق ثم يقول «انَّ جسم كلّ حيوان من الحيوانات العليا والانسان في جملتها مؤلّف من خُوَيصلات تقوم بالوظائف المعدَّة لها وهي اعمال الجسم ما دام حيًّا وهذه الوظائف موزَّعة عليها فبعضها للهضم وبعضها للتنفّس وبعضها للافراز وبعضها لغير ذلك. وأرقاها كلّها وادقّها بناء للشعور والتفكّر وسائر قوى العقل وهي الدقائق العصبية التي في الدماغ. فالدماغ آلة والعقل وظيفتها وهما يرتقيان معًا وينحطّان معًا»

وكلّ الفرق الذي يراهُ صاحب المقتطف بين الانسان الناطق والحيوان الاعجم هو (ص٢٤٩ و ٢٥٠) «انَّ الحيوان خاضع للمؤثّرات الخارجية خضوعًا مطلقًا فما وافقت افعالهُ والاحوال التي هو فيها عاش واخلف نسلًا وما ضادَّت افعالهُ التي هو فيها ضعف وانقرض نسلهُ فبقي من انواع الحيوان ما تنطبق افعالهُ على الاحوال المحيطة به فتصير افعال عقله (كذا) آلية وهي المسمَّاة بالغريزة . . . . . . أمَّا الانسان فارتقت قواهُ العقليَّة وقويت فيه قوَّة التمييز والارادة فصار جانبٌ كبير من اعماله اراديًّا اي نمت في دماغه المراكز العصبيَّة التي وظيفتها التمييز بين النافع والضارّ واختيار الاوَّل والابتعاد عن الثاني ولكنَّهُ لم يصل الى ذلك الَّا بعد جهاد عنيف مدَّة قرون كثيرة». وقال (ص ٢٥١): «والحيوانات تعيش وتموت مدفوعة الى اعمالها بقواها الغريزيَّة ولا تستعمل قوَّة التمييز التي فيها الَّا قليلًا»

فهذه الاسطر التي نقلناها بحرفها عن المقتطف كافية لبيان غرض كاتبها وهي ان صحّت تقوّض اركان الانسانية وتجعل البشر في طبقة العجماوات لا يفرزهم عنها الّا بعض اختلافات عرَضية في الكم والكيف. واذا ما صادفت الحيوانات احوالًا تلائمها ولو بعد جهادٍ عنيف مدةً قرون كثيرة تنمو في دماغها المراكز العصبية وتقوى غريزتها ويزيد تمييزها الى ان تصبح شبيهة بالانسان. وليس الانسان نفسهُ على زعم المقتطف الّا حيوانًا وُجد في احوالٍ ملائمة فتجاوز يومًا البرزخ الذي يفصلهُ عن النَّعَم. فهذه هي نتيجة قول المقتطف شاء او أبى تنجم عن قولهِ كالنتيجة من مقدماتها وكالثمرة من نواتها. بل اثبتها صريحًا غير مرةٍ في معرض كلامهِ (ص٢٤٦ و٢٤٩) افتأخذنا بعد ذلك لومة لائمٍ ان ناقضنا هذا التعليم الوخيم الذي من شأنهِ هلاك العباد على اختلاف الاديان. وخراب البلاد في كلّ صقعٍ وآن. صان الله شرقنا العزيز من شرّ هذه الترهات او بالاحرى من عقبى هذا الجنون والهذيان

٢

فهلمَّ نُعمل نظر الفكر في قول المقتطف لنسبرهُ بمعيار الرويَّة. واوَّل ما تأبى التسليم بهِ ذاك التحديد الزائف الذي صدَّر بهِ مقالتهُ عن العقل اذ وصفهُ بكونهِ «مجموع افعال الدماغ والاعصاب» فانهُ وايم الحقّ لبئس التعريف وذلك لانَّ من اوَّل شروط التحديد ان يكون «جامعًا مانعًا» جامعًا لكل خواصّ الشيء المحدَّد مانعًا لِما سواهُ. وتحديد المقتطف للعقل مُخِلٌّ من هذين الوجهين فلا يجمع كلَّ خواصّ العقل ولا يفرزهُ عمَّا سواهُ

امَّا انَّ هذا التحديد لا يجمع كل صفات العقل فلانَّ العقل كما لا يُخفى يدرك الكليات فضلًا عن الجزئيات ويفهم الغائبات ويبدي فيها حكمهُ ثمَّ يأخذ المحسوسات من الحواسّ ويُصلح ما وهمت بهِ في حقّها واشيا. كثيرة تختصُّ بالعقل وحدهُ لا تتَّصل اليها البتَّة افعالُ الدماغ والاعصاب لان هذه الافعال كلّها هيولية ماديَّة. ولا يفيد المقتطف قولهُ انَّهُ يتكلَّم عن مجموع افعال الدماغ لان جمعها لا يغيّر طبيعتها

ثمَّ انَّهُ من المعلوم انَّ النفس بعد افتراقها من الجسد لا تزال حيَّةً وحياة النفس بالعقل والادراك ذاك امرٌ لا ينكرهُ الَّا من توغَّل في الكفر ونبذ عنهُ ربقة كل دين. والنفس بعد تجرُّدها عن الجسد لا دماغ لها ولا اعصاب. فاذن ليس العقل مجموع افعال الاعصاب والدماغ كما زعم المقتطف

ومما يبين فساد تحديد المقتطف للعقل انهُ ليس فقط لا يعرّف كل صفات العقل بل ايضاً لا يميّزهُ عمّا سواهُ. كيف لا وهو يصحّ ايضاً في البهيمة العجماء نفسها ولها كما للانسان دماغ واعصاب فلمَ لا يكون فيها كما في الانسان مجموعُ هذه الافعال عقلاً. وهذه نتيجة لم يستنكف عنها اصحاب المقتطف بل ربّما دافعوا عنها في مجلّتهم ولو حاولوا سترها تحت حجاب الكلام المنمّق المزخرف. فتراهم يتكلّمون عن «عقل الحيوان» و«علم الحيوان وتعلّمهِ» و«تمييز الحيوان» الى عبارات اخرى لا يمكن اطلاقها على غريزة الحيوان ووهمهِ فقط. وغاية ما يسلّمون بهِ ان النّعم والبهائم لم يحصل لها ان تعيش في تربة ملائمة لنموّها لتؤثر الفواعل الطبيعية في ارتقائها كما حصل للانسان وهو كان مثلها سابقاً. فهذا كما ترى نفس تعليم الدروينيين الذي طالما تاهَ المقتطف في مهامهِ خرافاتهِ ومجاهل أوهامهِ وفنّدتهُ جريدتنا البشير في اعمدتها بالبراهين الدامغة (١

فشتّان بين هذا الحدّ الباطل وتحديد الفلاسفة المستقيمي الرأي من مسيحيين ومسلمين ويهود ووثنيين وكلّهم لسان واحد في بيان جوهر العقل وقد حدّوهُ: «قوّة مجرّدة عن المادّة يدرك بها الانسان حقائق الاشياء». فقولهم انّ العقل «قوّة» يريدون ان النفس تتمكّن بهِ على بعض اعمالها. وقولهم «انهُ مجرّد عن المادّة» فمرادهم انّ العقل ليس كالقوى الهيولية التي هي في المشترك الانساني اعني في النفس والجسد معاً على مثال الخيال والحسّ بل هو غريز في النفس من حيث هي نفس انسانية اي ناطقة مجرّدة عن الهيولى. امّا قولهم انّ «النفس تدرك بالعقل حقائق الامور» فلأنّ العقل بعد ان عرضت عليهِ الحواسّ مادّة عملهِ يجرّدها عن خواصها المفردة المحسوسة ويرقّيها الى عالم الفكر فتعقل النفس جواهرها الذاتية وتبدي في صفاتها حُكمها اثباتاً او نفياً وكلّ ذلك يبعد عن أعمال العصب والدماغ بُعدَ السماء عن الارض

---

١) راجع ايضاً كتاباً جزيل الافادة صنّفهُ في هذا الموضوع حضرة الاب جرجس فرج النائب البطريركيّ على الموارنة في الاسكندرية. واسم هذا التأليف «اصل الانسان والكائنات». وللشيخ جمال الدين الافغانيّ رسالة في هذا الصدد شائقة وهي جليلة المعاني بديعة الالفاظ عرّبها الشيخ المفضال محمّد عبده المصريّ. وكذلك قد كتب حضرة الشيخ حسين افندي الجسر الطرابلسيّ مقالات حسنة في تفنيد هذا الرأي. ولجناب المعلم ابراهيم افندي الحوراني ردّ ايضاً على مزاعم دروين

٣

فبطل اذن التحديد الذي استند اليهِ اصحاب المقتطف لتعريف العقل وببطلانهِ قد تقوَّض اساس بنائهم المتداعي وتضعضع ركن تعاليمهم الزائف. وكان بوسعنا بعد ذلك ان نضع حدًّا لمقالتنا الوجيزة ولكن هلمَّ نفحص مع المقتطف عن وظيفة الدماغ الذي نسب الى مجموع افعالهِ العقل والادراك فنرى ما في كلامهِ من الصحة

زعمتَ اصلحك الله ان العقل ليس الَّا مجموع افعال الدماغ. فليت شعري يا صاح كيف استدللتَ على ذلك. أليس بفحص الدماغ البشري والبحث عن تركيبهِ. والدماغ كما لا يخفى متركب من مادة بيضاء رخوة لها ألياف كثيرة عصبية تحيط بها في تلافيفها العديدة مادة اخرى سنجابية كقشرة تصونها. واذا فحصنا اصل هاتين المادتين وكيف نمتا في رأس الطفل وجدنا انهما كانتا في الاصل حُوَيصلات او خلايا صغيرة جسمية لم تزل تنبسط وتشتد حتى يتكون منها المخ. ذلك فضلًا عن الاعصاب التي تمتد في كل جهات الدماغ وتنقل اليهِ الحس والحركة

هذا غاية ما ينتج عن تشريح الدماغ وعن النظر المدقق في اقسامهِ المختلفة. فاذا تمعنّا في البحث ورأينا أعمال الدماغ وحُوَيصلاتهِ وخلاياهُ واعصابهِ لا نجد فيها جميعًا على اختلاف تركيبها الا حركات شتى كالانبساط والانقباض والفعل والانفعال. ولكن نسأل المقتطف اين ذلك من العقل وافعالهِ السامية فانَّ بين الحركة والفكر بونًا كليًّا. فحركة الدماغ مادية والفكر مجرَّد عن المادة. حركة الدماغ تنقسم في كل جزء من اجزاء الدماغ وحويصلاتهِ والفكر واحد لا يقبل الانقسام. حركة الخلايا الدماغية لا تتجاوز اطراف الدماغ والفكر لا يحصرهُ شيء فينتقل بسرعة البرق من اقاصي السماء الى اعماق الارض. يقابل الاجناس مع الانواع والانواع مع الافراد الى ما لا نهاية لهُ. يدرك ما لا يقع تحت الحواس كوجود الله والفرائض الادبية والدين والجزاء والعقاب. هذا الى اختلافات أُخر كثيرة قد عدَّدها ابن مسكويه في كتاب تهذيب الاخلاق في فصل حسن عنوانهُ انَّ النفس ليست جسمًا ولا عرضًا (ص ٣-٥ طبعة مصر) نشير على كتبة المقتطف بان يطالعوا هذه المقالة ويتبصروا في معانيها. ولا يضرُّ انَّ كلام ابن مسكويه ليس هو عن الدماغ فانَّ حججهُ تصحُّ عن الدماغ كما تصحُّ عن كل اقسام الجسم. وكنَّا اثبتنا هنا قولهُ لولا الخوف من الاطالة المملَّة مع شيوع الكتاب المذكور

ولعلَّ المقتطف يعترض علينا بقوله ان الاختبارات العديدة التي اجراها الطبيعيُّون والفيزيولوجيون بيَّنت انَّ العقل يزداد بنموّ الدماغ وينقص بنقصانهِ واذا استُخرج المخ او قسمٌ من الدماغ او قُطع بعض اعصاب المخ اصاب الانسانَ خللٌ في شعورهِ ومسٌّ في ادراكهِ أفليس ذلك دليل على انَّ العقل قائم باعمال الدماغ

نجيب ان المقتطف لا يميّز بين العقل وبين الآلة التي يستخدمها العقل لعمله الخاص. لا ننكر انَّ الدماغ لازم للعقل وانَّهُ اذا اصاب الدماغ جرحٌ او اذى يتأثر العقل من جرَّاء ذلك فلا يجد الى ابراز عمله سبيلًا. ولكننا لا نرضى بان يُخلط بين اعمال الدماغ والعقل. ومثَل ذلك مَثل الفاعل الذي لا يستغني عن الادوات التي بها يزاول صناعتهُ فان كُسرت او فُقدت فلا يمكنهُ انجاز عمله أفيقول احد انَّ ادوات الفاعل والفاعل واحدٌ. وكمثل الملك الذي لا بُدَّ لهُ من خَوَلٍ وخدم يساعدونهُ على اتمام غايتهِ السامية فان خامر اولئك العبيد فتورٌ او عجزوا عن الخدمة اصبح الملك مغلول اليدين قاصرًا عن مهامّهِ الجليلة. ولا يخطر على بال احدٍ ان يقول انَّ الملك والخدم واحد لاحتياج الملك اليهم. فعلى هذا المنوال العقل في الانسان فانَّهُ لا يقدم على عملهِ الشريف الَّا بعد ان يتقدّمهُ عُمَّالهُ يمهّدون لهُ الطريق ويُعدّون لهُ الاهبة التي لا مُندوحَ لهُ عنها. فان حَسُن عملُ العُمَّال حَسُن ايضًا فعل العقل. والعامل الكبير لذلك هو الدماغ الذي بدونهِ لا يقوى العقل على جليل مهمّتهِ

امَّا حجَّة الماديين المأخوذة من كبر الدماغ وصغرهِ فهي واهنة لا تصحّ في احوال كثيرة. وربَّ حيوان خالٍ من النطق كالفيل والحمار والقرد يفوق دماغهُ كبرًا على دماغ الانسان افيجسر احدٌ ان يفضّل هذه الأُمَم البُكْم على الانسان. ولا صحة ايضًا لاختبارات أُخرى أجروها بوزن ادمغة كثيرين فزعموا انَّ دماغ الناس الناشئين في الهمجية اخفّ من دماغ المتمدنين لخبط مسعى المختبرين وخاب املهم ووجدوا ادمغةً لبعض الأَجلاف من سكَّان الصحارى والغابات ارجح من ادمغة مشاهير الرجال المتوغلين في التمدُّن

فمهما جدَّ الماديون وكدُّوا فقد اخطأُوا المرمى وعادوا بخفَّي حنين اذ لم تصب مشارطهم ومباضعهم في تشريح الدماغ سوى مادة شبيهة بالحيوان امَّا العقل فقد طلبوهُ حيث لا وجود لهُ ولو كان في رأسهم ذرَّةٌ منهُ لما حاولوا التفتيش عليهِ كما فعلوا. وما طلبوا اثرًا بعد عين

وانتم يا كتبة المقتطف فلا تسوّدوا صفحات مجلّتكم بتسطير هذه الاباطيل تنقلونها

عن مجلّات تشرّبت روح الكفر والزندقة وهي سمّ زعاف تنفثونهُ في القلوب وبزورُ مفاسد تبذرونها في النفوس فتنمو الى ان تأتي بأثمار امرّ من العلقم. فناشدتكم الله كيف يمكنكم ان تدعوا بحفظ الآداب وانارة العقول وترقية الهيئة الاجتماعية بعد ان تزعزعوا بمبادئكم قواعد هذه الآداب وتثيروا في العقول ظلمات الشبهات وتقطعوا روابط تلك الهيئة. فارعووا عن غيّكم هداكم الله الى الصراط المستقيم

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي

تمهيد

انَّ في لبنان عدَّة اماكن وقرى تشتمل على آثار قديمة ذات شأن خطير وهي مع ذلك مجهولة لا يكاد يعرف الاهلون غير اسمها فرأينا ان نحيي ذكرها بهذه المقالة الطويلة التي وسمناها « بتسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار » نودعها ما تسنّى لنا جمعهُ من اخبار تاريخية واوصاف جغرافية ومآثر عادية. وهو مجال لا شكَّ رحبٌ الّا انّنا نأمل انَّ القرّاء لا يسأمون ان يجروا فيهِ معنا أشواطاً فيجدون في كلّ طلقٍ ما تقرّ بهِ عينهم ويرتاح اليهِ جنانهم. كيف لا والمرء مغرًى بمعرفة بلادهِ مُولع بشرف مسقط رأسهِ وآثار اجدادهِ. وقد حدانا ايضاً الى مباشرة هذا المشروع رغبتُنا في حفظ تلك الآثار قبل ان تستولي عليها يد الدمار (١. ولعلّ ما نذكرهُ ينشِط ايضاً بعض قرّائنا الى البحث والتفتيش فيشدُّون باكتشافاتهم أزرنا ونحن نشكر سلفاً كلَّ من يأتينا بفائدة او يُتحفنا بطرفة فيشاركنا على تحقيق الآمال التي ابديناها في مقالة سبقت لنا في المشرق (ص ٢٦١) عنوانها: « هيّاً على درس تاريخنا ». وكنّا في هذه اللائحة اشرنا الى درس الآثار القديمة وعددناها بين الوسائط الكبرى لمعرفة تاريخ بلادنا. وسيكون مفتتح كلامنا على الجهات الواقعة في شمالي بيروت

---

١) قد درس كثير من هذه الرسوم والآثار في مدَّة الخمس والعشرين سنة المتصرمة. وسنعود الى هذا الموضوع ثانيةً

الفصل الأوَّل

قسم لبنان الواقع في شمالي بيروت

١ انطلياس

اذا ما خرج المسافر من بيروت سائرًا نحو الشرق اوَّل ما يلقاهُ في طريقهِ نهر بيروت. وهو مجرى ماء ربَّما اضحى في الشتاء سيلًا جارفًا. واكثر الكتَّاب المحدثين يرتأُون انَّهُ هو النهر الذي دعاهُ بلينيوس الطبيعيّ نهر ماغوراس وانَّهُ كان من انهار الفينيقيين المقدَّسة دعوهُ بذلك اشتقاقًا من اسم الاله ماقار وهو اسم زُحل بلغتهم (١. وقد عارض هؤلاء الكتبةَ غيرُهم فانكروا انَّ نهر بيروت هو نهر ماغوراس المذكور (٢ واحتجُّوا لذلك بحجج لا يسعنا هنا بسطها

واذا اجتزتَ النهر وجدتَ في طريقك او على مقربة من الطريق قرًى ومزارع نظنُّها حديثة العهد اللهمَّ الَّا سنَّ الفيل التي ورد ذكرها في تآليف الصليبيين مصحَّفةً بسنسفيل (Senesfil (٣. ثمَّ تقطع سهلًا مستطيلًا على سيف البحر يؤدي بك الى نهر انطلياس الذي بجواره موقع القرية المدعوَّة بهِ

واسم انطلياس كما لا يخفى معرَّب وقد تضاربت في اصلهِ الآراء. فمن العلماء من زعم انَّهُ نُسب الى النبيّ الياس واهل القرية يعظّمون هذا القديس ويكرّمونهُ اي اكرام ويقدّمون لكنيستهِ المشيَّدة في قريتهم النذور ويأْنفون ان يحلفوا باسمهِ واذا حلفوا كرهوا الحنث بأَيمانهم فقيل ان الضيعة دُعيت لذلك باسم هذا النبيّ. الَّا ان في هذا التفسير شبهةً لأَنهُ لا يبيّن معنى اوَّل لفظة «انطلياس» ولم يحاول بعدُ احدٌ شرحها. وجاء في تقليد اهل لبنان انَّ انطلياس دُعيت باسم بعض المشاهير او المعبودات ولم يمكنًا تحقيق ذلك

ولعلَّ انطلياس مشتقَّة من الكلمة اليونانية (Ἀνθήλιος) اي موازٍ للشمس لانَّ انطلياس تقابل المغرب بينما تواجهُ بيروت جهةَ الشمال. وهذا الشرح لا يتجاوز حدَّ الحدس والرجحان وعلى كلّ حال انَّ انطلياس قريةٌ قديمة العهد. يشهد بقدمها ما وجدهُ علماء العاديَّات من الآثار الجليلة كنواميد ذوات حجر واحد من الرُّخام المحبَّب ونواويس وبقايا بنايات قديمة.

---

١) راجع تاريخ الفينيقيين Movers : *Phœnizier* I, 262 et 666

٢) راجع مجلَّة العاديَّات Revue Archéologique, 1878, I, 13, *note* 1

٣) راجع Rey : *Colonies franques*, p. 524

فلا شكّ انّ العمد يدلّ على ان ثمّت كان هيكل للعبادة كما انّ النواويس المكتشفة تشهد بوجود مدفن قديم وبقايا الابنية تبيّن وجود القرية القديمة سواء تدعى بانطلياس او باسم آخر مفقود

وموقع انطلياس حسنٌ جدًّا لا بُدَّ انّهُ استلفت منذ قديم الزمان انظار الاهلين فسكنوهُ وعمّروهُ ولا نظنّ انّ قرّاءنا نسوا ما كتبهُ في الاعداد السابقة من المشرق (ص ١٠٤) حضرة الاب زنّوفن بخصوص محطّة انطلياس القديمة وما وُجد فيها من الآثار التي تقدّمت عهد التاريخ. والذي حمل الاقدمين على ايثار انطلياس وتفضيلها على ما سواها انّما هو نهرها ذو الماء العذب الزلال الذي يولي البقعة المجاورة للضيعة نضارةً وخصبًا

وكانت السكّة الرومانية الواصلة بين نهر الكلب وبيروت تجدي لسكّان انطلياس منافع جمّة فتسهّل لهم نقل كلّ خيرات المدينة. ولا غروَ انّ الرومان اقاموا هناك نُصُبًا للدلالة على المسافة بين بيروت والقرية التي نحن بصددها وهي مسافة خمسة اميال اي نحو سبعة كيلومترات ونصف

فهذا جلّ ما نعرفهُ الآن عن انطلياس. وقد زعم البعض انّ هذه الضيعة هي مدينة لاوُنتوبوليس القديمة (١ وهو رأي واهن لا يمكن اثباتهُ ببرهان صحيح. والصواب انّ لاونتوبوليس كانت في جنوبيّ بيروت على طريق صيدا.

٢ صربا وجونية

ثم تعبر نهر الكلب الذي كان يدعوهُ الاقدمون ليكوس ومعناهُ الذئب وتسير مدّة فتصل الى ضيعةٍ موقعها شماليّ النهر تدعى صربا وهي منتصبة فوق الصخور المشرفة على خَور جونية. وهو شَرم في البحر يُعدّ من احسن خلجان سوريّة ولو اراد احدٌ ان يحوّلهُ الى مرسىً لتهيّأ لهُ ذلك دون مشقّة. وليس في كلّ ساحل الشام من غزّة الى الاسكندرونة مينا طبيعيّة سواهُ. وهو في جهتهِ الشمالية عميق الغور فلا بأس على السفن اذا القت هناك مراسيها لان هذه الجهة الشمالية آمن من الجهة الجنوبية التي تَغمُرُها رملٌ. وخور جونية بمعزل عن الرياح الخطرة الشديدة الهبوب كريح الشمال وريح الجنوب والصبا. ومع كلّ هذه

(١ Revue Archéolog. 1872, I, 172

الخصائص بقيت جونية قريةً لا يُعبأ بها مدةَ اجيال طويلة ولا علةَ لذلك سوى صعوبة الوصول اليها وانحصار اطرافها بين جبالٍ عالية تُطِلّ عليها شرقًا ومضيقَي نهر الكلب والمعاملتين شمالًا وجنوبًا. وعليهِ لم يمكنها ان تنبسط في السهول المجاورة وتُوسّع نطاق أرباضها كغيرها من المدن مثل بيروت وطرابلس وصور وصيداء

ورغمًا عن هذه العوائق قد اخذت جونية منذ امدٍ قريب تحفل بالسكّان وتزيد اتساعًا. وقد نالت نصيبًا كبيرًا من الحظّ منذ انشئت السكّة الحديديّة على ساحل البحر الّا أنّها تفتقر لترقى في معارج النجاح الى شيئين اعني الى مياه عذبة يجلبها اليها اهلها من احد الينابيع القريبة والى بعض تحسين تَسهل في مرفإها بأن يُجعل لهُ رصيف لنقل البضائع الى البرّ ونزول الركّاب وتعميق بعض اطراف الخليج. فلو اخرج اهل جونية هذه المشروعات الى حيّز العمل اضحت بلدتهم من ابهج البلاد اشبه شيء مع صغرها بعرفا نابولي الممدود من ابدع منازه الدنيا

هذا ما يختصّ بجون جونية اما البلدة نفسها فقد اشتُقّ اسمها من خليجها فدُعيت بهِ جونية جونًا او خورًا. ولها ذكر في تواريخ القرون المتوسّطة. وكانت في ايّام ياقوت الروميّ من اعمال طرابلس(١. وقال الادريسي(٢ وهو من كتبة القرن الثالث عشر « انّ جونية حصن على البحر واهلهُ نصارى يعاقبة ». وذكر لها في محلّ آخر كورة (٣ وذلك ممّا يشير بنوعٍ جليّ الى اهمّيتها. وقد ورد ايضًا اسم جونية في تآليف الصليبيين وهم يدعونها جوينة (Juiné). امّا قدماء الجغرافيين من اليونان والرومان فلم يرووا شيئًا عنها ولا عن ضربا التي كانت تُعَدّ من ارباضها متعلّقة بها. ولذلك لم نرَ نحن ايضًا ان نفصلها عن بعضها

قال بلينيوس الطبيعيّ: « انّ بين نهر ليكوس (نهر الكلب) ونهر ادونيس (نهر ابرهيم) مكانًا يُدعى باليبلوس (Palæbyblos) ». وزاد عليهِ ايضاحًا اسطرابون الجغرافي فقال: « اذا سرتَ من بِبلوس (جبيل) جنوبًا تلقى في طريقك اوّلًا نهر ادونيس ثم جبل كليمكس (ὄρος Κλῖμαξ) ثم بعدهما باليبلوس واخيرًا نهر ليكوس ». فاذا اعتبرنا

---

١) معجم البلدان (٢ : ١٦٠)

٢) راجع طبعة غلدميستر ص ١٧ ٣) ص ٢١

كلام اسطرابون لا نجد بين نهرَي الكلب وابرهيم سوى محلّين احرزا لهما في الزمان القديم شهرةً بعدد سكانهما وهما «بريا» و «جونية صربا». وما من موقع الاّ هما يحسن ان يكون مربطاً للسفن. وتمتين المرافئ كما لا يخفى من شأنه ان يبيّن موقع المدن الفينيقية القديمة لحذق الفينيقيين بفنّ الملاحة وتفرّغهم للتجارة (١

واوّل ما يفيدنا اسطرابون انَّ پاليبلوس هذه في جنوبي جبل كليمكس فاذا تحقّقنا موقع هذا الجبل استدللنا ايضاً على مكان پاليبلوس. ونظنّ انَّ الجبل المذكور هو الجبل المشرف على البحر في شمالي جونية بقرب المعاملتين وهو عبارة عن صخور مرتفعة يمرّ في وسطها طريق الساحل. وتسمية اسطرابون لها بكليمكس موافقٌ جدًّا لان كليمكس (Κλίμαξ) باليونانية معناه المرتقى والدرج. وقد آثر بعض العلماء (٢ رأياً آخر في تعيين جبل كليمكس فقال أنهُ هو الجبل المشرف على جونية الذي تعلوهُ قريتا حريصة وغسطا. وما فيهِ من المراقي الصعبة اشبهُ شيء بدرج السلّم فدُعي لذلك كليمكس. وكلا الرأيين محتمل فندع لقرّائنا ان يرجّحوا الواحد على الآخر. وعلى هذين الرأيين لا بُدَّ من القول انَّ پاليبلوس هي صَربا لوقوعها في جنوبي جبل كليمكس

ولا غرو ان يكون موقع جونية وصربا استلفت منذ القدم انظار الفينيقيين وهم في حاجة الى نقل بضائعهم بحرًا. وعلاوة على ذلك أننا نعلم ان اكثر المدن الفينيقية كانت مبنيَّة في سالف الزمان على نُشُوز او على رؤوس تشرف على البحر كما ترى في جبيل وصيداء وبيروت وصور وهلمَّ جرًّا. فلا ريب اذن ان صربا وجونية اضحتا قديمًا مقاماً للفينيقيين ومرفأً لسفنهم

وما وُجد في هذه السنين الاخيرة من الآثار القديمة بصربا يؤيّد رأينا. الّا ان البنايات الحديثة قد أفنت كثيرًا من هذه البقايا الجليلة التي وصفها السيّاح منذ بضعة عشر سنين. ومن هذه الآثار مغارة يكرَّم فيها اليوم القديس جرجس ويظهر أنها كانت سابقًا

---

١) راجع مجلّة المباحث (Études, 1861, p. 524) وفيها مقالة ذات شأن في آثار سوريَّة للاب بوركو اليسوعيّ. الّا انَّنا لا نوافق كاتبها في رأيهِ عن پاليبلوس. وسيأتي ذكر هذا المبحث في معرض كلامنا عن بريا

٢) راجع مجلّة العاديّات (Revue Archéoleg. 1878, I, 3 et 15)

هيكلًا لعبدة الاصنام. ومنها القبر المعروف بقبر بنت الملك وهو مدفن قديم. ومنها ايضًا قبور ومعاصر قديمة الى غير ذلك من الأخربة الدارسة

ولكن اعظم هذه الآثار قلعة صربا التي لم يبقَ منها غير قسمها الاسفل وهو عبارة عن حجارة ضخمة تشبه حجارة دير القلعة. وكان سابقًا بجوار تلك العمارة اعمدة ورؤوس اعمدة وبقايا أُخر من هيكل قديم(١ لانَّ هذه القلعة كانت معبدًا للوثنيين ولعلَّها كانت مخصَّصةً بعبادة سيرابيس. وقد اشتقَّ الكاتب كولنًا شكَلدي (Ceccaldi) اسم صربا من اسم سيرابيس اله هذا الهيكل. وقد اكتُشِف ايضًا في صربا وجونية على مسكوكات فينيقية وتماثيل وكتابات من جملتها كتابة يونانية في ركن بعض التماثيل كُتب فيها (Ζεὺς ἐπουράνιος) اي « المشتري السماوي »

فيظهر اذن ممَّا تقدَّم انَّ جونية وصربا شُيِّدتا في موضع مدينة قديمة يرجَّح انها بالبيلوس وكان معظَمْها فوق الصخور في محلّ صربا وكانت جونية كمرفإٍ لها منذ ايام الفينيقيين

شجرة الفردوس الارضي

لحضرة الاب انستاس ماري دي سنت ايلي الكرملي البغدادي

ليس الغاية من هذه العجالة ان أُبيِّن للادباء هل كانت شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشرّ شجرةً واحدةً او شجرتين تتميَّز الواحدة عن الاخرى لاننا نعلم بان المفسّرين قد اختلفوا في ذلك وانقسموا حزبَين كما هو مشهور(٢. ولا الغاية منها ان أُثبِت لهم أيًّا من الاشجار كانت شجرة معرفة الخير والشرّ. فان الآراء قد كثرت في هذا الصدد وكلُّ جماعةٍ تؤيِّد رأيها ببراهين تقرُبُ من الصدق او تبعد عنهُ قليلًا او كثيرًا تبعًا لما فيها من قوَّة الاقناع. فمنهم من ادَّعى بانها نبتة الحنطة. وقالت جماعة بانها الكرمة. واثبتت فئة بانها

---

١) وقد نقل الباؤون كثيرًا من هذه الحجارة فاتخذوها للبنايات المستحدثة كما فعلوا في دير القلعة. وهذا امر لا شكَّ يؤسف عليهِ فاذا داوم الاهلون على خُرقهم في تحطيم هذه الرسوم لم يبقوا عمّا قليل في لبنان شيئًا من الآثار القديمة

٢) انَّ الكتاب المقدَّس يميِّز صريحًا بين شجرة الحياة وشجرة الخير والشرّ فلا يعبأ برأي من زعم انَّهما شجرة واحدة (المشرق)

شجرة التين وبيّن قوم بأنها شجرة اكْرَز. وذهبت عصابة الى انها البرتقال الهندي وهو عندنا اسم الشجرة المعروفة عند الافرنج باسم (Pamplemousse). وقد اوضح جمهورٌ لا تُعَدّ افراده ببراهين جليّة نيّرة بأنّها شجرة التفّاح .

وقد ارتأى فريق من علماء الانكليز الاعلام المحدثين بان شجرة الفردوس كانت البُرْغامة. وهذا الرأي الفاسد الساقط هو الذي أُريد ان انقدهُ هنا لقيامهِ على شفا جرفٍ هارٍ لا بل قد انهار. وكما ان مجرّد القول بفساد الشيء الفلاني وسقطهِ لا يكفي لإقناع العاقل فآتي السامع الناقد بالبراهين التي تثبت ذلك وهذا الذي حداني الى كتابة هذه الاسطر الوجيزة. فمن هذه البراهين :

١ً ان ليس للبُرْغامة ثمرة تستلفت الابصار. أو تستأسر الافكار. او يبهج منظرها العين. او يجذب عطرها اهل الزين والشَّيْن. فانك ان عرفت ما هي البُرْغامة. تعجبت من اناس يتمسكون بهذا الرأي وليس فيهِ من الحقيقة ما يُشبهُ ظلّ الغمامة. فالبرغامة شجرة من فصيلة القَرْاشيّات. من قبيلة الـدرّات (Lotées). ومن ذلك نفهم بان ثمرها يكون في غُلُفٍ او سِنَّفٍ لا تصلح للأكل ابدًا. بل رُبّما صلح الزقّوم للاكل بالنسبة الى هذه. فكيف اذًا يعتقد العقلاء بانها كانت شجرة الفردوس وليس فيها شيء يجذب اليها النفوس. أظنُّ الانكليز انَّ الاشجار تتحوّل عن اصلها وجنسها ونوعها كلّ يوم فتكون بيد الطبيعة بمنزلة الأُلعوبة بيد الطفلة تمدّدها كل يوم تمدة وتقلبها كل يوم قلبة. فهذا ممّا لا يُسلّم بهِ اهل النُّهى

٢ً ان خبر وجود شجرة الفردوس في العراق لا يتعدّى سنة ١٨٦٢ م إنْ في الكُتُب ومظانّ الأخبار. وإنْ في انتشارهِ بين ظهرانيّ اهل هذه الديار. فكيف يُمكن لانسان ان يقول هذا القول. ويتطاول هـذا الطّول. أنزعم انّهُ أُنزل وحيهُ على قلبهِ وعلى قلب غيرهِ في ساعةٍ واحدة من الزمان. لا في معرفة موطن الفردوس من الامور ذوات البال والشأن. فهذا ممّا لا يعتقد بهِ اولو العرفان

٣ً ان من يقف على كيفية شيوع خبر هذه الشجرة بأنّها شجرة الفردوس يُضحك من عُقُول بعض السياح الذين يدوّنون الغرائب. بدون ان يتثبّتوا الامور ليطّلعوا على ما فيها من المعايب والشوائب. ويتقصّوا ما فيها من الحقائق الراهنة. او من دقائق الاكاذيب الواهنة. فانّ العلماء الذين يقولون بهذا الرأي الخالي من كلّ سند مكين. ويتزلونهُ منزلة

الحقّ المبين. يزعمون بان من التقاليد الشائعة بين جمهور العراقيين. من نصارى ويهود ومسلمين. انّ الفردوس الارضي كان في البقعة المسمّاة اليوم بالقُرنة. والحال إنّ هذا من الاختلاق المحض الذي لا اساس لهُ واليك تحرير الرواية واصلها وسبب نقلها عن ألسنة اهل العراق. على ما اثبتهُ لي احد الأثبات في هذا الصدد وهو الفاضل الاديب هنري زفوبودا (Henri Svoboda) وكان قد شهد نشوء هذا الرأي الى ان بلغ اشدَّهُ وهو الى اليوم الكاتب الأوَّل في احد المراكب الانكليزيَّة في نهر دجلة

« ان شركةً انكليزيَّة وتسمَّى بشركة بواخر الفرات ودجلة الهنديَّة المحدودة المبلغ (The Euphrates and Tigris Indian steam navigation Company Limited) كانت قد حصلت على امتياز تسيير بواخر في هذه الجهات بدُّها. لا يُعرَف إلَّا في الانكليز وليس هنا محلُّ تفصيلهِ. وكان مركباها الأولان: مدينة لندن (City of London) المسمَّى عند اهل بغداد مركب لندن. ودجلة (Tigris). وكان غرَّة سيرهما في وادي السلام سنة ١٨٦٢ م ولمَّا كان الرَّبان هولند (Mr Holland) من الخبيرين في احوال نهر الزوراء انتدبتهُ الشركة الانكليزيَّة المذكورة ليكون ربَّانًا في مركب لُندُن. فقبل بذلك لانهُ كان يقبض راتبًا من الحكومة الانكليزيَّة الهنديَّة لتعمُّدهِ (١ واخذ يتسلَّم مشاهرة من هذه الشركة ايضًا

فبينما كان يومًا فرحًا مترنحًا إثر مشافهتهِ لبنت العُنقود. ومُادثتهِ لرَوائح الملأمة التي تشهد بفضلهِ جماعات من الشهود. وكان اهل المركب احاطوا بهِ معقودًا على عُقود. بين وُقوفٍ وقُعودٍ. اندفع في كلامهِ. ولا اندفاع السيل الركام في تدفّقهِ وازدحامهِ. وذلك عند بلوغهِ المحلّ المعروف بالصُّرَيفَة عند اهل المضارب. على بُعد ساعةٍ فوق مشهد عزرا (٢ الكاتب. فقال ما معناهُ. مُتَّبعين في ذلك مَبناهُ: « ألا وايمُ الله قد وصلنا بقعةً قد شمل بها الأُنس. الجنَّ والإنس. طيّبة الهواء. ناعمة الثرى. تنفي عن القلب كل جوى. تلعب النسيم في رياضها. وتترقَّص الاسماك في حياضها. وتشدو الصوادح في غياضها. وتصفّق

---

١) يقال تعمَّدهُ اي قام بأمرهِ والحكومة الانكليزيَّة تقوم بامر متوظفيها بدون ان يخدموها بعد ان يكونوا قد بلغوا من العمر عدَّة من السنين .

٢) هو مقام يُكرّمهُ اليهود ويزعمون انَّ فيهِ قبر عزرا صاحب السِّفرين المذكورين في التوراة (المشرق)

الاوراق عند مرور دوحها على زلالها. وتمايل الاطيار فرحاً على افنان اشجارها او تحت ظلالها. فترابها عنبر. وحصباؤها جوهر. وهو بين معصفرٍ ومزعفرٍ. وشيطان ارضها وَسنان. وملاكها يقظان. فما نحن هنا الا في فردوس عدن. صورة جنّة الخلد ذلك الوطن. الذي قد نُفي عنهُ كل وهن ودَرَن »

فتقدَّم منهُ رَولنصن يتهادى ويتهاذى. وقال لهُ: كيف يا صاح تقول هذا. فهل لك على ذلك. ادلّة تُدعِم بها نضيد مقالك. قال: نعم واليك ايضاح هذا المزعم. قد قيل في الكتاب الكريم المُنزل على موسى الكليم: « وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الفردوس. ومن هناك ينقسم فتصيرِ اربعة رؤوس » وهذه الرؤوس الاربعة هي فيشون او سيحون وجيحون ودجلة والفرات. فانك تعلم علم اليقين الخالي من كل شبهة ومظنّة. بان رؤوس دجلة والفرات هي عند قُرنة. واما سيحون وجيحون. فليسا إلّا الصُوَيب وشطّ العرب المُيون. لانّ فردوس النعيم لم يكن بُقعةً صغيرة. بل كبيرة. قال رولنصن واخذ يتقصّى الخبر كل التقصّي: واين شجرة الفردوس. التي لا يمكنك ان تأخذ بها في الدَّوْس(١. فجعل يلتفت يُمنى ويُسرى خائفاً من أن يُلبَس ثوب الملامة. فرأى دَوحة عمرها ستُّون سنة اسمها بُرهامة. قال: هذه هي شجرة الجنّة يا أيُّها العَلَمُ العلّامة. والحبر البحر الفهّامة.

فما كان من رولنصن الّا وثق تلك البراهين. معتقداً بانها لمذهبهِ الجديد بمثابة الاساطين. فاذاع ستنذرِ رأيهُ في الجرائد والمجلّات. وتبعهُ من الانكليز زرافات بعد زرافات. لمنزلة رولنصن من العلم اذ يُعدّ من الأثبات الثقات. وزاد على ذلك بان محلّ الفردوس في نواحي القُرنة هو من تقليدات. اصحاب تلك البلاد على اختلاف المعتقدات. وما زال الخبر في ازدياد وانتشار. حتى اصبح الافرنج يقصدون هذه الديار. ليشهدوا ما فيها من اعظم الآثار. ألا وهي تلك الشجرة الغريبة بين جنس الاشجار. المعروفة بالبرهامة عند العرب. والمسمّاة عند الانكليز بشجرة الفردوس الارضي لهذا السبب. فاعتبر ذلك أيُّها العاقل وأمسك نفسك عن الضحك. عمّا وقفت عليهِ من مختلقات الافك. وقل: « اللهمَّ نعوذ بك من شرَّة الألسن. وفضول الهذر. كما نعوذ بك من معرَّة اللكن. وفضوح الحَصَر. اللهمَّ آمين »

---

١) يقال اخذ في الدوس اي في تسوية الحيلة وتزيينها — عن الاساس

مزايا لغة العرب

لحضرة الاديب العالم شكري افندي الآلوسي البغدادي

اعلم ان لغـة العَرَب لم تزل موضوع البحث عمّا حوتهُ من الاسرار والدقائق التي لم تشتمل عليها لغة اخرى من اللغات حتى أُلف في ذلك كُتُب كثيرة قديمًا وحديثًا فاحببتُ ان انبّه على شيء من مزاياها على وجه الاجمال يظهر به انّها حسنةٌ من حسنات القوم فضيلة من فضائلهم . فمن جملة مزايا هذه اللغة الجليلة :

اوَّلًا سعة نطاقها فانها اتمّ الالسنة بيانًا وتمييزًا للمعـاني جمعًا وفرقًا بجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل اذا شاء المتكلّم الجمع

ثانيًا ثمّ يُميّز بين كلّ شيئين مُشتبهين بلفظ آخر مميّز مختصر . كما نجدهُ في لغتهم في جنس الحيوان فانهم مثلًا يعبرون عن القدر المشترك من الحيوان بعبارات جامعة ثم يميّزون بين انواعه في اسماء كلّ امر من اموره من الاصوات والاولاد والمساكن والاظفار والشعور وغير ذلك من خصائص اللسان العربيّ التي لا يُستراب فيها ممّا هو مفصَّل في كتب فقه اللغة لابن فارس والثعالبي وغيرهما

ثالثًا مع كثرة موادّها وسعة مجالها كما لا يُخفى على من مارسها لاسيَّا في الاشياء التي تمسُّ حاجة القوم اليها . فقد يكون للشيء الواحد عدَّة اسماء باعتبار تعدُّد صفاته واحواله وبكثرة الالفاظ المترادفة لديهم اتّسعت لهم دوائر الآداب الشعريَّة . فانّ للعسل ثمانين اسمًا وللثعبان مئتين وللاسد خمسمائة وللجمل الفًا وكذا السيف وللداهية نحو اربعة آلاف اسم وغير ذلك ممّا هو مفصّل في محلهِ

رابعًا مع ما في اللغة العربية من القواعد الكليّة والقوانين الكافية لوضع الالفاظ لمعانٍ لم تكن في القرون الخالية والازمنة الماضية ممّا استُحدث من الفنون والصنائع والآلات التي بثّها مُحدثوها باسماء من لغاتهم . فانّ من اطّلع على ما في اللغة العربيـة الاطلاع الكافي امكنهُ ان يأخذ لها اسماء من هذه اللغة بسهولة . فان اكثر تلك الاسماء هو من قبيل اسم المكان او الآلة . وصَوغ اسم المكان والآلة ونحوهما في العربية مطّرد من كل

فعل ثلاثي كما ترى كثيرًا من كتب المصريين والسوريين الذين لهم حميَّة على لغتهم وأنفة ان يدنّسوها بغيرها يعبرون عن كل ١٠ استحدث بلفظ عربي مبين

خامسًا وفي اللغة العربية وجهٌ آخر لصوغ الفاظ تسدُّ مسدَّ الالفاظ الأعجمية التي مسّت الحاجة اليها وهو باب النحت(١ قال ابن فارس في فقه اللغة: « العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة وهو جنسٌ من الاختصار وذلك كقولهم رجل عَبْشَمي منسوب الى اسمين وهما عبد شمس وانشد الخليل:

أقول لها ودمع العين جارٍ أَلَمْ يُحْزِنْكِ حَيْعَلَةُ المنادي

من قولهم (حيَّ على كذا) وهذا مذهبنا في أنَّ الاشياء الزائدة على ثلاثة احرف أكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد (ضِبَطْر) من « ضَبَطَ وضَبَرَ » وفي قولهم (صَهْصَلِق) أنَّهُ من « صَهَلَ وصَلَقَ ». وفي (الصِّلْدِم) أنَّهُ من « الصَّلْد والصَّدْم » الى آخر ما قال

سادسًا هذا الى ان اللغة العربية احسنُ اللغات صِيَغًا واساليب واتمُّها واكملها نسقًا وتاليفًا مع تسويغ استعمال النحت عند اقتضاء الضرورة

سابعًا ومن مزايا اللغة العربية تناسبُ اللفظ والمعنى طولًا وقصرًا وخفَّة وثقلًا وكثرةً وقلَّة وحركةً وسكونًا وشدَّةً ولينًا فان كان المعنى مُفردًا افردوا لفظهُ وان كان مركَّبًا ركّبوا اللفظ وان كان طويلًا طوَّلوهُ « كالعَنَطْنَط والعَشَنَّق » للطويل. فانظر الى طول هذا اللفظ لطول معناه. وانظر الى لفظ « بُحْتُر » وما فيهِ من الضمّ والاجتماع لما كان مسمَّاهُ القصير المجتمع الخلق. وكذلك « الحديد والحجر والشدَّة والقوَّة » ونحوها تجد في الفاظها ما يناسب مسمَّياتها. وفي لفظ « الهواء والماء والنار واللين والضعف والرقَّة » من اللطافة والخفَّة ما يناسب مسمَّياتها. وكذلك لفظ « الدَّوَرَان والنَّزَوَان والغَلَيَان » وبابها في لفظها من تتابُع الحركة ما يدلُّ على تتابع حركة مسمَّاها. وكذلك « الدحَّال والخرَّاج والضرَّاب والأكَّال » في تكرُّر الحرف المضاعف منها ما يدلُّ على تكرُّر المعنى. وكذلك « الغَضَبَان والظَمْآن والحَيْرَان » وبابُهُ مما صيغ على هذا البناء الذي يتسع النطق بهِ

١) راجع المقالة التابعة في الالفاظ المحدثة

ويمتلئ الفم بلفظه لامتلاء حامليه من هذه المعاني فكأنَّ الغضبان هو الممتلئ غضباً الذي قد اتّسع غضبهُ حتى ملأ قلبهُ وجوارحهُ. وكذلك بقيتها

ولا يتّسع المقام لبسط ذلك كلّه لأنه ينشأ من جوهر الحرف تارةً ومن صفته ومن اقترانه بما يناسبهُ ومن تكرُّره ومن حركته وسكونه ومن تقديمه وتأخيره ومن اثباته وحذفه ومن قلبه واعلاله الى غير ذلك من الموازنة بين الحركات وتعديل الحروف وتوخّي المشاكلة والمخالفة والخفّة والثقل والفصل والوصل. وهذا باب يقوم مَن تتبّعهُ بسفرٍ ضخم. والمناسبة بين اللفظ العربي ومعناه مذهبُ كثيرٍ من أئمة اللغة وأساطين العربية

وعقَدَ لهُ ابو الفتح ابن جنّيّ باباً في الخصائص وذكرهُ عن سيبويه واستدلّ عليهِ بانواع من تناسب اللفظ والمعنى ثم قال: « ولقد مكثتُ برهة يَردُ عليَّ اللفظ لا اعلم موضوعهُ فآخذ معناهُ من قوّة لفظه ومناسبة تلك الحروف لذلك المعنى ثم اكشفهُ فآخذهُ كما فهمتهُ او قريباً منهُ ». وقال ابو يعقوب السكاكي: « انّ للحروف في انفسها خواص بها يختلف المعنى كالجهر والهمس والشدَّة والرخاء والتوسط بينها وغير ذلك مستدعية في حقّ المحيط بها علماً ان لا يُسوّي بينها. واذا اخذ في تعيين شيء منها لمعنًى ان لا يهمل التناسب بينهما قضاء لحقّ الحكمة. مثل ما ترى في « الفَصْم » بالفاء الذي هو حرف رِخو لكسر الشيء من غير ان يبين. « والقَصْم » بالقاف الذي هو حرف شديد لكسر الشيء حتى يبين. « والثَّلم » بالميم الذي هو حرفٌ ما يَبْنيّ لخلل في الجدار. « والثَّلْب » بالباء الذي هو شديد لخلل في العِرْض. « والزَّفير » بالفاء الذي هو حرف رِخو لصوت الحمار. « والزئير » بالهمز الذي هو شديد لصوت الأسد وما شاكل ذلك. وان للتركيبات كالفَعَلان والفَعَلى بتحريك العين فيهما مثل « النَّزَوان والحَيَدَى » لما في مسمّاهما من الحركة. وفَعُلَ مثل « شَرُفَ » للافعال الطبيعية اللازمة. وغير ذلك خواصّ ايضاً فيلزم فيها ما يلزم في الحروف وفي ذلك نوع تأثيرٍ لانفس الكلم في اختصاصها بالمعاني » انتهى. وكان لابي العبّاس ابن تيميّة فهم عجيب في هذا الباب كان اذا انبعث فيهِ أتى بكل غريبٍ ورأيت لهُ فصولًا مفيدة في ذلك يطول الكلام بنقلها مع اني اقول:

تألّقَ البرقُ نجديًّا فقلتُ لهُ   يا أيُّها البرقُ إنّي عنكَ مشغولُ

الالفاظ المنحوتة في العربية

للاب لويس شيخو اليسوعي

انّ من يبحث عن اللغات الاوربية ويتثبّت خواصّها ويُمعِم النظر في اركانها الأوَّلية التي اشتقّت منها لا يلبث ان يلحظ انّ مجموع اصولها العُنصريَّة قليلٌ لا يتجاوز بضعة مئات من الالفاظ فليت شعري اين ذلك من ثروة اللغات الساميّة التي توفَّرت اصولها الثلاثيّة واتَّسعت ايّ اتّساع فيعجز الذهن عن ضبط وجوهها واستيعاب معانيها ولذلك جاء في مثل انّ العربية لا يُحكمها الّا نبيّ

ولكن اذا ما فضلت لغاتُنا الساميّة لغاتِ الاجانب من قبيل غناها في الالفاظ الاصلية لا نُدحة لنا في القول ان هذه تغلبها وَفرةً من وجهٍ آخر نريد بهِ الالفاظ المركّبة والمفردات المنحوتة

وما ادراك ما النَّحت ؟ النحت في اللغة القطع والتسوية وفي عُرف النحويين تركيب كلمة من كلمتين وذلك بان تعمد الى لفظتين فتأخذ من اطرافهما حرفًا او اكثرَ ثمَّ تدمجهما بحيث تصيران كلمةً واحدةً مفردة يترتَّب عليها ما يترتَّب على بقيَّة المفردات من حيث الاعراب والتنكير والتعريف والافراد والجمع وهلمَّ جرًّا. مثال ذلك « الصَّهْصَلِق » وهو الشديد من الاصوات قد نُحتَ من « صَهَلَ » و« صَلَقَ » وكلاهما بمعنى صوت فحُذف طرَف الاولى من اللفظتين وضُمَّ الباقي الى اللفظة الاخرى. وقد دُعي النحتُ بذلك تشبيهًا بالنجّار الذي ينحت الخشبتين فيجعلهما واحدةً. امّا الغاية من لَحم الكلمات بعضها فالاختصار او سهولة اللفظ او ايضًا وضع معنًى جديد لا تفي بهِ احدى اللفظتين المنحوتتين وحدها

واذا تصفَّحت اللغات القديمة كاليونانية واللاتينية تجد ان الالفاظ المنحوتة تُعَدّ فيها بالمئات بل تحصى بالالوف. وهي التي تجدي الكتابة رونقًا وحُسنًا وباختيارها وحسن استعمالها برّز كتَبة القرون السالفة. فهاك اوميروس مثلًا وهو امام شعراء اليونان فانَّهُ لا يكاد يخلو بيتٌ واحد من قصائدهِ الرنّانة من الالفاظ المنحوتة وهو يصوغها بعضها على اسهل طريقةٍ واحسن سَبكٍ لايجاد معانٍ طريفة وتصوُّرات مبتكرة وعواطف ليّنة رقيقة تأخذ بمجامع القلب

وقد ورثت اللغاتُ الحديثة المتفرّعة عن اليونانيـة واللاتينية كالفرنسيّة والايطالية والاسبانية وغيرها هذه الخاصة عن امّهات اللغات فهي تتصرَّف في نحت الالفاظ تصرّفًا عظيمًا كما لا يُخفى على من لهُ المام بهذه الالسنة. وفي اللغات السكسونيّة كالالمانية والانكليزيّة قد بلغ عددها الى ما لا نهاية لهُ ولا يبرّز بينهم كاتبٌ او ينبغ شاعرٌ الّا اذا أحسن نحت هذه الالفاظ وتسنّى لهُ وَضع كلمات جديدة تسبق اليها قريحتُهُ غيرَهُ من الكتبة. وربّما نحتوا ثلاثة الفاظ او اربعة فجعلوها كلمةً واحدة مركّبة المعنى وهذا كثير في اللغة الجرمانية

وبين لغات الشرق التي خُصّت بهذه الصفة ما تفرّع منها عن اللغات الهنديّة القديمة لاسيما السنسكريتيّة كاللغات الارمنية والهندستانية والفارسية فانّ فيها كلها الفاظًا عديدة منحوتة لُحمت ببعضها حتى صارت عبارة عن كلمة مفردة قد عُرّب منهـا وخصوصًا عن الفارسية الفاظ كثيرة كالإبزيم والابريسم والشاه بلوط والنيروز. وقد ورد تعريب بعض هذه الالفاظ في اقدم شعراء العرب كدَهقان وشطرنج

امّا اذا انتقلنا الى اللغات الشرقية المعروفة بالساميّة نسبةً الى سام بن نوح لشيوع هذه الالسنة بين القبائل والامم المنتسبة اليه وجدنا انّها بخلاف اللغات السابق ذكرها لا تأنس بالالفاظ المنحوتة والكلمات المركّبة

فهناك العبرانية اذا تصفّحت كتبها اللغويّة لا تكاد تجـد فيها من هذه المفردات المنحوتة الّا النزر القليل واكثرها اعلام اضافيّة نحو: בנימין (بنيامين) אבימלך (ابيملك) גיהנם (وادي هنم ومنهُ جهنّم). ومنها الفاظ اضافية نحو: בעל אשה (زوج) בעל הבית (ربُّ البيت) [illegible] مثل هذه الاضافات ما تركّب عندنا من الفاظ « الاب والام وذي الصاحبية ». ولا [illegible]ثل هذه الالفاظ تدخل في باب النحت

وليست السريانية افضل من العبرانيّة من هذا القبيـل فانّ اشهر اسمائها المركّبة لا تتجاوز عشرين لفظةً الشائع منها ما ترى: ܒܪܢܫܐ (انسان. ومنها لفظة بَرنَشا بالعربيّة بمعنى أحد) وܒܥܠܕܒܒܐ (عدوّ) ܒܥܠܕܒܒܘܬܐ وܒܥܠܕܝܢܐ (مقاتل وخصم) وقد بنوا انما لا منها فقالوا: ܐܬܒܪܢܫ وܐܬܒܥܠܕܒܒ وܐܬܒܥܠܕܝܢ. ومنها ايضًا ܒܪ ܐܪܙܐ (سرّ) وܒܪܬ ܩܠܐ (لفظة) كما نقول بالعربية بنتُ شفة. ومنها ܫܢ ܦܝܠܐ (عظم الفيـل اي عاج) وܐܟܠܩܪܨܐ (نمّام وثلّاب) وܣܝܡܐܝܕܐ (وضع اليد اي سيامة). والفـاظ اخرى على شكلها. ويصحّ في هذه الالفاظ ما قلنا عن تركيب الالفاظ العبرانيّة من اعلام واضافات. هذا وانّنا لا

نتكلم في بحثنا عن الفاظ كثيرة مركبة نقلها السريان عن اليونانية والفارسية

اما العربية فقد ارتأى بعض الأئمة(١ انّ نحت الالفاظ من خواصها وقد ورد في كتاب المزهر للسيوطيّ بابٌ في هذا المعنى (٢ ذكر فيه الفاظاً اخذها عن ابن فارس وابن السكّيت والجوهري وابن دحية وغيرهم. وقال في معرض كلامهِ « انّ ابن الخطير الفارسيّ وضع كتاباً في ما جاء من المنحوت في كلام العرب ذكرهُ ياقوت» ألّا انهُ (اي السيوطي) لم يقف عليهِ والظاهر انهُ فُقِد. وقد طالعنا نحن ايضاً بعض كتب اللغة ومقالات للادباء المستشرقين فوقفنا على الفاظ اخرى غير المذكورة في السيوطيّ فجمعنا كلّ ذلك فاذا عددها لا يكاد يُربي على خمسين لفظةً نرويها هنا للافادة ونقسمها اقساماً تبعاً لتركيبها:

١ فمن هذه الالفاظ ما هو عبارة عن جملةٍ نحو: بَأْبَأَ (قال بأبي انت) وجَعْفَدَ (قالَ جُعِلْتُ فداك) وحَوْلَقَ (قال لا حول ولا قوة ألّا بالله) وحَيْعَلَ (قال حيَّ على الصلاة) وحَيْهَلَ وَحَيْهَلَ (قال حيَّ هَلا لشيء) ودَمْعَزَ (قال ادام الله عزَّك) واسترجع (قال انّا لله وانّا اليهِ راجعون) وسَمْعَلَ (قال السلام عليكم) وطَلْبَقَ (قال اطال الله بقاءكم) وفَذْلَكَ الحساب (أجمَلهُ بقولهِ فذلك كذا) وقَهْبَلَهُ (قال لهُ حيّاً الله قهبلك اي وجهك). وكَبْتَعَ (قال كَبَتَ الله عدوّك) وكَبَّرَ (قال الله اكبر) ولاشاهُ (صيَّرهُ كلاشيء. (٣) ومَشْأَلَ (قال ما شاء الله) ومَشْكَنَ (قال ما شاء الله كان) ووحَّد وأحَّد (قال انّ الله واحد أحَد) ووحّد العشرة (اذا صيّرها احد عشر) (٤

٢ ويلحق بالباب السابق الفاظ خُتمت باسم الجلالة مختصراً كالبَسْمَلة (وهي القول باسم الله) والحَسْبَلَة (حَسْبِيَ الله) والحَمْدَلة (الحمد لله) والحَوْقَلَة (ومثلها كالحولقة) والسَّبْحَلَة (سبحان الله) والهَيْلَلَة (وهو القول بلا اله الّا الله) ومثلها التَّهْليل

٣ ومنها ما هو عبارة عن اصوات نحو: بَيَّهَ الإبل وهَأْهَأَها اذا دعاها بِهْ وهَا

٤ ومنها أعلام نُحتت بها لفظة «بنو» مثل بَلْحَرْث (بنو الحَرْث) وبلْعجلان

---

١) راجع الصفحة ١٠٢٥

٢) راجع الجزء الاوّل منهُ الصفحة ٢٣٢

٣) وقد ركّب الفلاسفة الفاظاً مسبوقة بلا دلالة على النفي كاللاشي واللانهاية

٤) راجع تهذيب الالفاظ لابن السكّيت الصفحة ٥٨٨ من طبعتنا. واعلم ان بعض هذه الالفاظ مثل كبّر واسترجع ووحّد ليست هي في الحقيقة الفاظاً منحوتة بل افعالاً يُراد بها جملة

(بنو العجلان) وبَلْعَنبر (بنو العنبر) وبَلْقَين (بنو القَين) وبَلْهُجَيم (بنو الهُجَيم). ولعلّ تركيب هذه الاسماء لغة بعض القبائل او هو اختصار للّفظ كما ورد في اعلام كثيرة لقرى لبنان جاءت فيها لفظة البيت منحوتة بالباء. فقالوا «بعبدا» اي بيت عبدا و«بومانا» اي بيت رمانا و«بحَمْدون» اي بيت حمدون. ولعلّ هذا النحت أُخذ من السريانية

٥ ومن هذه الالفاظ المنحوتة مفردات منسوبة اكثرها ايضاً اعلام نحو: تَيمَلي (نسبة الى تَيم الله) وعَبْدَريّ وعبدليّ وعَبْشَريّ وعَبْشَميّ وعَبْقَسِيّ (نسبة الى عبد الدار وعبد الله وعبد ذي الشَّرَا وعبد شمس وعبد القيس) والمَرْقَسي (نسبة الى امرئ القيس) وحَنفَلتيّ (نسبة الى ابي حنيفة والمعتزلة معاً) وشَفعَنتي (نسبة الى الشافعيّ والى ابي حنيفة معاً) والطَّبرخَزي (نسبة الى طَبَرستان وخُوارزم). وربّما بنوا من بعض هذه الالفاظ افعالاً فيقولون: «تَعَبشَم وتَعَبقَس» اذا انتسب الى عبد شمس و عبد القيس

٦ ومنها ايضاً ما ليس هو بعربيّ محض كالدّارَصيني والبَرْنَساء. وليس كلامنا على هذه المركّبات وقد دخل منها كثير في اللغة لاسيّما من اليونانية والفارسية والسريانية والتركية وكذلك نضرب هنا صفحاً عن الالفاظ التي تركّبت من قسم عربيّ وقسمٍ اعجميّ كسلاحدار ودُوَيدار وباش كاتب الخ

٧ وقد عدّ ابن فارس في فقه اللغة (١ الالفاظ الزائدة على ثلاثة احرف فاكثر منحوتةً وضرب لذلك مثلَيْ «ضِبَطْر وصِلدِم» وزعم انّهما مركّبتان الاولى من «ضَبَرَ وضَبَطَ» والثانية من «صَلَدَ وصَدَمَ». وضرب غيرهُ مَثَلَ «الجُلمُود» فزعم انّهُ من «جَلَدَ وجَمَدَ». (قلنا) اننا لا نرى صحّةً لقول ابن فارس السابق وهو يناقض قول غيره من النحويين الذين ارتأوا انّ الافعال المجرّدة الرباعية ترجع الى اصول ثلاثية كقَنْطَرَ مثلاً اصلها «قَطَرَ» وجَنْدَلَ اصلها «جَدَلَ» باقحام النون فيهما. وربّما أُقحم غير النون كالراء واللام والميم لأنها احرف لينة نحو قَرْضَبَ اصلهُ قَضَبَ بمعنى قطع. وهذه الحروف تزداد ايضاً في آخر الثلاثيّ نحو: عَبدَل (وهو العبد) وثَعلَبَ كثَمَلَ. والامثال في ذلك كثيرة نبّه عليها ابن دريد في كتاب الاشتقاق واشرنا اليها مراراً في الشروح التي الحقناها بكتاب تهذيب الالفاظ لابن السكيت. وهذه قاعدة تصحّ في اللغات السريانية والعبرانية بل في سائر

١) راجع المزهر ص ١: ٢٣٢

اللغات الارمية . فهذا دليل ساطع على انّ بعض الحروف تُقحم في الالفاظ الاصلية او تزاد عليها لتحسين اللفظ وتقوية المعنى الى غايات اخرى لا يسمنا هنا بسطها

٨ وما يبقى لنا سوى بعض الفاظ النحت فيها ظاهر كالماوَرْد والخُبْزُرْ (وهو البَرَد اصلهُ حَبُّ قُرّ) والحَصَالُبان (حَصَا اللُّبان) والرَّسمَال (رأس المال) والكَسْرَجُوز والكَسْرلَوْز والترهنديّ والشَّحْطَب (وهو الكبش ذو القرون الشبيهة بشقّ الحطب) غير انّ هذه الالفاظ قليلة واكثر استعمالها في اصطلاح الاطبّاء . او التجّار ومنها ما أُخذ عن العامّة وكان الاصل فيها الاضافة

(النتيجة) يتّضح عن الملاحظات السابقة انّ النحت في العربية كما في اخواتها من اللغات الشرقيّة محصورٌ في الفاظ قلائل اكثرها اعلام او عبارات مختصرة لا يجوز بناء قاعدة مطّردة عليها . وليس هذا قصورًا في اللغة العربية لان اصل وضعها يشمئزّ من هذه الالفاظ المركّبة على انّها ليست في حاجة الى هذه التراكيب المنحوتة ولها من المزايا الحسنة ما عدّده حضرة الكاتب الاديب البارع شكري افندي الالوسي في المقالة السابقة . امتعنا الله بعلوم الادباء امثاله وهو حسبنا ونعم الوكيل

زينب (الزبّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزفال اليسوعي

(تابع لما قبل)

١٧

يظهر ممّا تقدّم انّ زينب لم تفتتر لتحسُن تنصُّرها الّا الى مرشد امين حسن السيرة ومستقيم المعتقد . ولكن قد فات حين ارشادِ . فانهُ بينا كانت ملكة تدمر تتفرّغ للامور الدينيّة وتشتغل بالمسائل العلمية جعل قياصرة رومة يتجهّزون لمقاتلة من تملّكت على جميع اقاليهم الشرقيّة واقامت في صحارى الشام دولةً مستقلّةً تزري قوّةً وفخرًا بسلطة الرومان

وقديم عزمهم. كيف لا وقد اوشكت زينب ان تنجز ما عزمت عليه منذ ابتداء امرها اي الاستيلاء على رومة وترقية ابنائها على سرير ملوكها

الّا ان الله تعالى جلّت حكمته لم يسمح بتحقيق آمالها فتغيَّرت الاحوال في المغرب وملك على الرومان قيصرٌ جديد ذو بأس ومراس جرى بينهُ وبين صاحبة ترجمتنا امور خطيرة تشيب لها الرؤوس واصطلت حرب عوان افضت الى كسرة زينب وأسرها فهذا ما بقي علينا ذكرهُ

كان اسم القيصر المذكور لوكيوس اوريليانس بويع لهُ بالملك بعد موت كلوديوس الثاني سنة ٢٧٠. وكان رجلاً خامل الاصل من احدى قرى بلاد پانونية فنشأ في آداب الحرب يبيت بالمراكز العسكرية ويقطع اوقات الفراغ بملاهي القنص وترويض الجسد. ولما تبوَّأ تخت السلطنة اظهر في كل معاملاته شدَّة جنديّ شظف وخشونة رجل شرس فظّ الطباع. قال ڤوپيسكوس في ترجمة اوريليانوس (ف ٢١) يصف دربته في السياسة: «كان اوريليانوس طبيباً ماهرًا الّا انَّهُ كان خرقاً في عملهِ يُبقي قابسهُ على المريض». وعلاوةً على ذلك كان اوريليانس وثنيًا متعصبًا لا يفرق قطّ بين تعزيز دينهِ ورفعة دولة الرومان. فلما فرغ من امر الخوارج في رومة لم يتم ان جدَّد اضطهاد النصارى. ثمّ وجّه افكارهُ الى الاقاليم الشرقية فصمّم على ان يسلب زينب صولجان ملكها

وكانت زينب وابناؤها في تدمر وترپيقوس في غالية يقرُّون للقيصر الجديد بحق الرئاسة او بالاحرى يعتبرونهُ كبعض شركائهم في تدبير الممالك الرومانية كما تشهد على ذلك بعض النقود. بيد ان اوريليانس لم يكن ليرضى بادنى اشتراك في الملك فجاهر في مجلس الشيوخ انهُ زاحفٌ بجيوشهِ الى الاقطار الشر[illegible]. وقبل خروجهِ من رومة تقدّم الى احد قوّادهِ يقال لهُ پروبس (١ ان يتوجّه توًّا الى مصر [illegible] التدمريين (في اوائل السنة ٢٧١) (٢. واما هو فأجّل تتميم قصده ريثما يردّ غزوات الفرنج عن [illegible] الطونة (الدانوب)

وكانت زينب في تلك الغضون تسوس رعيتها العظيمة بالامن والسلام غير مكترثة لمقاصد الرومان. بيد ان التدمريين الوثنيين قد اصبحت قلوبهم في قلق واضطراب كأنهم ينتظرون تقلُّبات الدهر وتصاريفهُ. لان جماعة منهم حجُّوا قبل ذلك بسنة الى أفقة من اعمال لبنان كي يستفتوا إلهة الجبليّين عمّا يصير اليهِ امرهم. وكان من عادة هولاء المشركين

(١ تولّى پروبوس هذا الملكَ على الرومان بعد اوريليانوس وتاسيتوس ٢) Vopisc. : *Probus*, 9

اذا ما استشاروا الزُهرة ان يرموا في النبع المختصّ بها عطايا من ذهب وفضّة وأنسجاً ثمينة . وكانوا يزعمون انّ الهدايا ترسب في غور المياه اذا اصابت لدى الزهرة قبولًا وتطفو فوقها اذا رذلتها الزهرة ورفضتها . فيُخبَر انّ ما قدّمهُ التدمريّون للإلهة وجدوهُ بعد سنةٍ لمّا عادوا الى افقة طافئاً على وجه الماء . فاستنتجوا من ذلك ان الدوائر لا تَنشب ان تدور على مدينتهم (١ . ولا خفاء ان زينب لم تكن لتحفل بهذه الخرافات . الّا انها لم تقدر ان تسكّن خواطر الوثنيين من رعاياها

وفي واقع الامر انّ الحرب ما لبثت ان قامت على ساق . قال زوزيموس في سيرة اوريليانس (١ : ٤٤ — ٥٠) : « انّ السبب الذي تعلّل بهِ اوريليانس لمحاربة زينب انّما كانت غارةً شنّتها على بلاد بيثينيّة » . وقد مرّ بنا ان زينب لم تكد تستوي على عرش المشرق حتى سعت في الاستيلاء على هذا الاقليم (راجع ص٨٢٤) الّا ان غاليانس قيصر كشف نيّاتها وعاكسها معاكسةً صدّتها عن الظفر بالمرغوب وان كانت وقتئذٍ متغلّبةً على الرومان لكنّ سلطانة تدمر لم تبرح تطمع في فتح تلك البلاد لخطارة موقعها في آسية الصغرى

فلمّا منحها الله أكتاف المصريين ولاحظت ان اوريليانس لم ينكر عليها حتّى نصرتها زاد قلبها حرصاً في التملّك على بيثينيّة فامرت جيوشها ان يستغيروا عليها فنهاوا وقهروا اهلها واستقرَوا البلاد حتى اقصى انحائها فبلغوا خلقيدون بازاء بيزانتيوم (اي القسطنطينيّة) وضربوا عليها الحصار . الّا ان سكّان هذا الاقليم كانوا يكرهون التدمريين فلم يلبثوا الّا يسيرًا حتى خرجوا عليهم ودعوا اوريليانس لنصرتهم لكنّ القيصر لم يتهيأ له ان يجاوب للحال الى طلبتهم اذ لم يكن قد انتهى من امر البرابرة . وفي تلك الاثناء مات وَهْبلات في تدمر (٢ فاجلست زينب ابنيها تيمَ الله وخَيران على منصّة القياصرة وبحت صورة اوريليانس عن نقود التدمريين

فلمّا علم اوريليانس بجراءة هذه المرأة تفرّغ من حرب القوط باسرع مدّة وبادر الى

---

١) V : nº 95, Zozim. : I, 58

٢) راجع W. : p. 605 . اعلم ان اخبار الاقدمين والدلائل التاريخية المستنتجة حديثاً من الكتابات والنقود تختلف بعض الاختلاف في رواية هذه الوقائع . فاخذنا عن كل هذه المصادر ما رأيناه اقرب الى الصواب . وامّا وَهْبلات الذي ملك على الارمن في اواخر امر زينب فمن المتبادر انهُ لم يكن من ابناء ملكة تدمر

بيزانتيوم فعبر مضيق البُسفور وجلى التدمريين في بيثينيَة (في اواخر السنة ٢٧١ او اوائل السنة التالية) فطردهم عنها ثمَّ واصل فتوحاتهِ فتغلّب على غلاطيـة وقبادوقية حتى بلغ مدينة انقرة وكان يريد حصارها. الَّا ان سكّانها تهيَّبوا سطوتهُ وفتحوا لهُ ابواب مدينتهم طالبين منهُ الامان. وكل ذلك جرى في مدّة وشيكة حتى ان زينب لم يسَعْها ان ترسل جيوشها الى مقاومة الرومان قبل توغُّلهم في السورية الشمالية

وقبل ذلك بيسير كان زبدا قائد زينب قد هرع الى مصر ليمدّ الى فيرموس واليها من قِبَل ملكة تدمر يدَ المساعدة ويشدّ أزرهُ بقَهر العساكر الرومانية التي وجّهها اوريليانس تحت امر پروبس. فنشب قتال شديد بين الفريقين اوشكت فيهِ جيوش زبدا ان تستظهر على الاعداء. الَّا ان پروبس استمال جماعةً من المصريين فآزروهُ على التدمريين وكروهم كرةً موئلةً. فولوا مدبرين تاركين مصر الى الابد (٢٧١)

فلمَّا وصل زبدا مع بقايا عسكره الى تدمر كانت زينب تتأهَّب لمحاربة اوريليانس وقد ضمَّت اليها اطرافها من جميع انحاء ممالكها وجعلتها تحت امر زبدا وزباي ثم قسمتها ثلاثة اقسام وجّهتها كلها في وجه الرومان اولها بطريق حلب والثاني بطريق حمص والثالث بطريق القريتَين. وصارت هي تتقدمهم ممتطنة جوادها لابسةً بزَّة الحرب وعلى رأسها البيضة

وكان اوريليانس قد انتهى من فتح قبادوقية وجعل يحاصر مدينة طِيانَة واهلُها من آمن رعايا زينب واثبتهم في خدمتها. فدافعوا عن اوطانهم مدافعة الابطال. ولولا خيانة رجل يدعى عِراكليمون لَما تغلّب عليهم القيصر ولعلّهُ كان تباطأ الى ان تفجأهُ زينب بغتةً. الَّا ان الله لم يسمح بمثل ذلك ففتح الرومان مدينـ[illegible] ثم توغَّلوا في جبال طوروس يحاربون من ينازعهم ويقهرون من ناواهم ويفتحون مدينـة بعد مدينة [illegible] قربوا من انطاكية (١

وكانت هذه المدينة في ذلك الزمان من ابهى مدن الشرق يتخلّلها نهر العاصي وتحدق

١) قال بعض المؤرخين ان المكان الذي احتلَّهُ اسمُ عمّ (الخ .. Immos او Imma) وهو على طريق حلب. الَّا ان في الامر نظرًا. فلما كان هذا الاسم ورد على صورة تشبه صورة اسم حمص فالاحرى عندنا ان هؤلاء المؤرخين ارادوا بذلك الاشارة الى حمص التي جرت فيها حرب عوان بعد القتال الذي التحم في جوار انطاكية. (راجع Mommsen V, p. 440; ZDMG, *Nöldeke* : 1885, p. 339)

بها الرياض والحدائق والغابات. وكان شابور لمّا اغار عليها طمس محاسنها لكنها لم تلبث ان تنتعش بعد خمولها على عهد امراء تدمر فدان لهم اهلها دون الرومان. الّا ان حسن التفات زينب الى المبتدع بولس السيساطي أثار فيهم البغض للتدمريين وكانوا منذ شمّرت الحرب عن ساقها يتمنّون للرومان النصرة على عساكر زينب

١٨

فلمّا قربت ملكة تدمر من انطاكية ورأت قدوم اوريليانس اليها امرت قوّادها ان يناشبوهُ القتال وهي لا تشكّ في غلبتها عليهِ. ففي الوقيعة الاولى هجم فرسان تدمر على الكتائب الرومانية وشتتوا شملهم. الّا ان التدمريين كانت تنوء بهم عدّتهم لثقلها وكانت خيولهم ابطأ جريًا من فرسان اوريليانس الذين جمعهم في الجزائر. وكان القيصر رجلًا ذا حِيل ومكايد فامر مقانبهُ ان يستطردوا للعدوّ فولّوا مُدبرين. وللحال تبعهم زبّاي بفرسانهِ لا يفكّر انهُ عاجز عن ادراكهم. فاغتنم اوريليانس هذه الفرصة وألّب كتائبهُ وكبس أرجلة التدمريين وهزمهم. فلمّا رأى زبّاي ما وقع باصحابهِ علم خطأهُ فندم على فعلهِ ولكن فات حين ندم فانّ فرسانهُ كانوا قد ابتعدوا عن المعركة ابتعادًا مفرطًا قد اصبحت مطاياهم رازحةً فتجمّع الرومانُ التدمريين ثانيةً وكرّوهم كرةً شنيعةً

فجمعت زينب شتات عسكرها والتجأت الى انطاكية مسرعةً. وعند دخول التدمريين تخوّف زبّاي سوء تصرّف الانطاكيين اذا وقفوا على حقيقة الامر فاعلن كذبًا انهُ اسر القيصر وانهُ سيجاءُ الى تدمر مكبّلًا. وفي نفس هذا اليوم خرجت زينب بجيوشها من انطاكية زاحفة الى حمص. وفي الغد تملّك اوريليانس على انطاكية واعطى الاهالي الامان (١

وبينما كانت زينب تستوفض الى حمص وهي تنادي فرسان العرب لمساعدتها (٢ شدّ

١) زوزيموس ١:٥١ وفوبيسكوس ٢٠. و Addison : II p. 268 و Chesney II p. 427 واخبر قوم من المؤرخين ان التدمريين لم ينادروا حالًا جوار انطاكية بل كمنوا في غابة تُدعى دَفْنه جنوبي المدينة وان الرومان تبوّموا اليها فطردوهم منها بعد قتال عنيف (راجع Mommsen : V, p. 439)

٢) قد قدمنا (ص ٨٢٤) ان زينب كانت قد استصغرت شان بعض قبائل العرب. فلذا لم ينتدب اليها في بدء الحرب سوى القبائل التائهة في جهات الجزيرة والعراق. فلما رأى الاخرون

في اثرها القيصر وفتح في طريقهِ عدَّة مدن على ضفَّة نهر العاصي منها أفامية ولاريسة (قلعة سيجر) وورستان. فلمَّا بلغ الى جوار حمص وجد عساكر زينب صفوفاً كثيفة متحفّزين لقتال ثانٍ وهم نحو ٧٠٠٠٠ نفر من الفرسان والرَّجالة والقوَّاسة. وكانت الساحة التي اختارتها ملكة تدمر للقتال مفازةً عريضة شمالي المدينة تناسب لحركات جندها لاسيَّا الفرسان وهم معظم جيشها. وامَّا جنود اوريليانس فكان عددهم اقلّ من التدمريين الّا انهم رجال مدرَّبون على فنون الحرب يقتحمون المخاطر غير مبالين بالهلكة (١

فتقدَّمت زينب على راس خيلها وأغرتهم على فرسان اوريليانس فوثبوا عليهم بشدَّة عظيمة فولَّى الرومان مُدبرين وتبعهم اصحاب زينب يُثخنون فيهم الجراح. فلمَّا راى اوريليانس ما نزل بقومهِ ضاقت الارض في اعينه بما رحبت وجعل يتضرع الى آلهتهِ لاسيَّا الى صنم حمص وهو عبارة عن حجارة سوداء مختصَّة بعبادة الشمس. وفي غضون ذلك تقدَّمت زينب الى جنودها بان يحدقوا بالاعداء لئلاَّ يفلت منهم احد. الّا ان الحركة التي امرت بها لم تنجح لان فرسان اوريليانس كانوا تناءوا عن مأزق الحرب عند فرارهم فلم يتهيَّأ لجيوش زينب ان يحصـ ... فضى الامر الى اعتزال فرسان تدمر عن الرجَّالة. وكان ذلك سبب هزيمة التدمريين. فان اوريليانس بادر الى تغيير نقطة القتال فهجم على الرجالة زينب ومزَّقهم كلّ ممزّق. وعند ذلك كرَّ زبَّاي راجعاً لينقذ اصحابهُ من المكروه الّا ان الحظّ اسعد الرومان فاجتمعوا صفوفاً لاصقةً وحملوا على مقانب التدمريين فجرى حينئذٍ بين الطرفين من القتال الذريع والذبح الهائل ما افضى الى تتمَّة نصرة الرومان. فنال زينب الذُّعر والهلع لمَّا شاهدت السهل مفروشاً بجثث انصارها فتركت حمص على جناح السرعة قاصدةً تدمر وهي مصمّمة ان تدافع عن حاضرتها مدافعة الابطال (٢٧٢) وتبذل دونها النفس والنفيس (٢

ان نير الرومان يكون أثقل عليهم من نير زينب لبَّوا الى طلبها فاخذوا يناوشون الرومان افراداً ودون نظام كعادة اهل الوبر في كل اين وآن

١) قال ڤوپيسكوس (ف٢٢): انهُ وُجد في جملة العساكر الرومانية فئات من الدَّلماط واهل ميسية وپانونية ورتية والعراق والشام وفلسطين وفينيقية وغيرهم ولم يكن لهم من الاسلحة سوى عِصي وهراوى ضخمة (دبابيس)». والظاهر ان المؤرخ يريد باهل الشام وفلسطين وفينيقية جماعة من الخوارج واللصوص الذين انتهزوا الفرصة للسلب والنهب فتحزبوا للرومان دون التدمريين

٢) ڤوپيسكوس: بروبس ٩

وبينا كانت تجتاب البراري بدخل اورليانس مدينة حمص فاستقبله الاهالي استقبالاً فائقاً كأنهم تبرَّموا بتدبير تلك السلطانة التي لم تألُ جهدها لترخي خناقهم وتقطع ربقة الرومان عن اعناقهم

وجرى في سائر انحاء سورية ما جرى في حمص. فان بروبس بعد ان اختطف البلاد المصرية لم يلبث ان استولى ايضاً على فلسطين وفينيقية دون صعوبة ولا مقاومة من قِبَل الاهلين. وقبض اورليانس على جميع الاموال والنفائس والاسلحة التي تركها التدمريُّون في حمص وبالخصوص على تلك التحفة البهيّة التي اعدَّتها زينب لاولادها يوم يتسنّى لها ان تدخل بهم ظافرةً رومة عاصمة الدنيا. ثم صار يقدّم فروض عبادته الباطلة الى الحجارة السوداء وينسب اليها ظفره ويشكرها على صنيعها ثم وعد ببناء هيكل عظيم للشمس عند رجوعه الى عاصمته. واجمع المؤرّخون القول بان القيصر مكّن بهذه المظاهر الوثنية قلوب من كانوا عبدة للاصنام بين اهل حمص(١

ومع ذلك لم يُطِل اورليانس الاقامة في تلك المدينة. فكاني به لم يحسب نفسهُ في الهناء والرومانَ في الأمن والسلام والآلهة في رضى ما دامت زينب متحصنة في حاضرتها. فازدحف الى تدمر يريد فتحها باسرع مدة. قال المؤرخ مومسن الشهير: « ان السفر الى تدمر كان للرومان اصعب من مقاتلة زينب » يعني به ان اجتياز جيوش القيصر بادية الشام في فصل تلظّى وهجُ حرارتهِ بين قبائل العرب المناصبة كان من الامور التي تقتضي بأساً وثبوت جنان. فلما وصلوا بازاء تدمر وقد اضنكهم التعب ولفحتهم الشمس فتفرّسوا في قلاع تلك المدينة الحصينة واسوارها وأبراجها نالهم برؤيتها الدهش والحيرة فعرفوا أنّها اعزّ من الأبلق العقوق. وكانت زينب بعد هزيمتها زادت المدينة حصانةً فنصبت المجانيق فوق الاسوار وهيأت جميع الآلات المعدّة لرمي الزراريق ورشق السهام النارية النفطية. فباشر الرومان حصار تدمر بالغين بالجدّ. واول ما سعوا وراءه تقويض الاسوار بالحفر وفتح اللغوم من تحتها الّا ان ارض هذه الانحاء كانت سهلة التفتت فارشك الصنّاع ان يهلكوا تحت ردمها وذهبت مساعيهم ادراج الرياح

وفي اثناء ذلك لم ينفك التدمريون يقذفون الاحجار ويرشقون السهام وانواع الرجوم

---

١) فو بيكوس: (اورليانس) ٢٥ وزوزيموس: ١٠ وغيرهما

فيتلفون الاعداء دون ان يلحقهم منهم ادنى مضرة. وعلى ذلك كتب اوريليانس الى مجلس الشيوخ: «... قد يستضحك مني بعض الناس على محاربتي لامرأة... فاعلموا ان زينب اذا قاتلت كانت أرجل من الرجال...» (١ فلما راى القيصر ان لا فائدة من الاحتياط بالمدينة وان جنوده يهلكون باطلا واحدًا بعد آخر فكّر في وجه استعطاف خاطر زينب ودعائها الى تسليم حاضرتها له. فبعث اليها برسالة قال فيها ما تعريبه:

« من القيصر اوريليانس ملك العالم الروماني وسلطان المشرق الى زينب واصحابها سلامٌ:

« قد وجب عليك ان تفعلي من تلقاء نفسك ما ادعوك اليه بهذه الرسالة. وهو ان تخضعي للرومان وتستسلمي لي. فعلى هذا الشرط ليس ألّا تنالين سلامتك وتستحقين عفوك. فان فعلت يسمح لك مجمع الشيوخ الاعلى ان تعيشي انت وعيالك في مدينة يعينونها لك. فسلّمي اذن لبيت مالنا كل ما لديك من الجواهر والذهب والفضة والنسج والخيول والجمال. واننا اتعهّد لك اني سأحفظ للتدمريين جميع حقوقهم »

فاجابت زينب: « من زينب سلطانة المشرق الى اوريليانس اغسطوس:

« انّ ما التمسته مني بكتابك لم يتجاسر احد قبلك ان يطلبه مني برسالة. أنسيت ان الغلبة بالشجاعة لا بتسويد الصفحات. انك تريد ان استسلم لك. أتجهل ان كليوبترة قد آثرت الموت على حياة سبتها عار الذلة (٢ فها اني منتظرة عضد الفرس والارمن والعرب لقلّ شباتك وكسر شوكتك. وان كان لصوص الشام قد تغلبوا عليك وهم منفردون فماذا يكون حالك اذا اجتمعت جحافلي على مقاتلتك. فلا شكّ انك تذلّ وتخنع لي فتجرّد نفسك عن كبريائها التي حملتك على طلب المحال كانك مظفر منصور في كل اين وآن » (٣

(النهاية في العدد القادم)

---

١) ڤوبيسكوس: ٢٧

٢) لعلّ شهرة هذه الرسالة وما ذُكر فيها عن موت كليوبترة هو الذي حمل العرب وغيرهم من المؤرخين على قولهم بان زينب في آخر امرها ابتلعت سمًّا كالملكة التي كانت تفتخر بنسبتها اليها

٣) ڤوبيسكوس: اوريليانس ٢٦ و٢٧

كتابُ النباتِ والشجرِ للاصمعي

سعى بنشرهِ الدكتور اوغست هَفنر

(تابع لما سبق)

[فصل الشجر]

(وَمِنَ ٱلشَّجَرِ) ٱلْعِضَاهُ وَهُوَ كُلُّ شَوْكٍ يَعْظُمُ [١]. وَمِنْ أَعْرَفِ ذٰلِكَ: ٱلطَّلْحُ [٢]، وَٱلسَّلَمُ [٣]، وَٱلسَّيَالُ [٤]، وَٱلعُرْفُطُ [٥]، وَٱلشَّبَهُ [٦]، وَٱلسَّمُرُ [٧]، وَٱلكَنَهْبَلُ [٨]، وَشَكِيرُ ٱلْعِضَاهِ [٩] مَا بَدَا وَرَقُهُ صِغَارًا قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ وَهٰذَا شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ

(وَمِنْ شَجَرِ ٱلْحِجَازِ) ٱلْغَرْقَدُ [١٠]، وَٱلسِّدْرُ [١١]، فَمَا كَانَ بَرِّيًّا فَهُوَ ضَالٌ،

---

١) يريد انّ العضاه يُطلق على كل شجرٍ طويل ذي شوك

٢) قيل ان الطَّلح اعظم العضاه شوكاً لهُ عود صلبٌ وصمغٌ جيّد وشوكهُ احجن طويل منبتهُ في بطون نجد . قال الليث : الطَّلح شجر امّ غيلان (Lc., Mimosa Gummifera)

٣) قال ابو حنيفة هو نوع من العضاه لهُ قضبان طوال وليس لهُ خشب وان عظُم ولهُ شوك دقاق طوال ولهُ بَرَمَة صفراء فيها حبَّة خضراء طيّبة الريح

٤) السَّيال شجر سَبْط الاغصان لهُ شوك ابيض طويل اذا نزع خرج منهُ مثل لبن (B., Acacia Seyal Boiss.; L., P., Acacia tortilis)

٥) العُرْفُط نوع من العضاه يفترش على الارض لهُ شوكة حديدةٌ وطلاه ويصطنع من لحائهِ هذا ارشية وهو من المراعي الخبيثة ٦) الشَّبَه والشَّبهان نبات شائك لهُ ورق لطيف احمر

٧) وصفهُ صاحب اللسان اللسان بانّهُ من العضاه وانهُ صغير الورق قصير الشوك جيّد الخشب ولهُ بَرَمَة ياكلها الناس (L. B. Juncus spinosus ; Lc., Mimosa unguis cati)

٨) الكَنَهْبَلُ صنف من الطَّلح قصير الشوك

٩) الشَّكير جمعهُ شُكُر ما ينبت في اصل الشجر وقيل هو لحاء الشجر

١٠) هو ضربٌ من العضاه قيل انَّهُ العَوْسجة اذا طالت (P., Nihraria L; Lc., Lycium)

١١) السِّدْر شجر النبق وهو نوعان منهُ العِبْرِيّ وهو الذي ينبت على عِبْر النهر ويعظم ولا شوك لهُ ومنهُ الضال وهو السِدْر البرّي ذو الشوك والسِدْر ورقة مدوَّرة عريضة (L. B., Zizyphus, Spina Christi Wild.: Rhamnus nabeca Forsk., cfr. E.; Lc., Zizyphus Lotus, (ضال) Rhamnus divaricatus)

وما كان يَنبتُ في الأنهارِ فهو عِبرِيٌّ ، والعَوسَجُ (١) شجرةُ المُصعِ (٢) . الواحِدةُ مُصعةٌ ، واللَّصَفُ (٣) الواحِدةُ لَصَفةٌ وهو الكَبَرُ ، وهو الشَّفَلَّحُ (٤) إذا تَفَتَّحَ وهو ثمرُ الكَبَرِ

(وممّا يَنبتُ في جِبالِ نَجدٍ) الثَّغامُ (٥) ، والحُمَاضُ (٦) قالَ الجَعدِيُّ :

فَجرى مِن مَنخِرَيهِ زَبَدٌ مِثلَ ما أثمَرَ حُمّاضُ الجَبَلْ

(قالَ لهُ ثمرٌ أبيضُ في حمرةٍ شبَّهَ بهِ الزَّبَدَ معَ الدمِ) ، والبَشامُ (٧) ، والبُطمُ (٨) وهو الحَبَّةُ الخَضراءُ ، والشِّرشِرُ (٩) ، والقَتادُ (١٠) ، [illegible] (١١) نَبتٌ خَشِنٌ لهُ شَوكٌ ، والعِكرِشُ (١٢) يَنبتُ في السِّباخِ ،

---

١) العوسج من صنار شجر الشوك لهُ ثمر احمر يقال لهُ المُقنّع . لهُ قضبان قصار وورقٌ صنير . وهو ضروب .B., L., Lycium europæum L., Lycium arabicum Schweinf cfr; E.; Lc., Rhamnus Diosc.)

٢) المُصع ثمرُ العَوسج التي تؤكل (Lc., Mespilus cotoneaster)

٣) قيل انَّ اللَّصف هنةٌ رطبة تنبت في اصل شجر الكَبَر كأنَّها خيار تؤكل ولها عصارة تجعل في الطعام . وقيل انهُ هو الكبر وهو نبات من العضاه لهُ شوك (B., L., P., Capparis spinosa Ægyptia B; P., Sinapis juncea L; Lc., Câprier)

٤) قال ابن شميل هو ثمر شبه التين يكون على الكَبَر (Lc., Câpre)

٥) جاء في اللسان : انهُ نبتٌ على شكل الحليّ وهو اغلظ منهُ واجلُّ عودًا يكون في الجبل ينبتُ اخضر ثمَّ يبيضّ اذا يبس ينبت في نجد وتهامة ٦) مرَّت ص ٦٤٥

٧) البَشام شجر ذو ساقٍ وأفنانٍ وورق صغار طيّب الريح يُدَقُّ ورقهُ ويخلط بالحنَّاء للتسويد (L., Balsamus; Lc., Amyris)

٨) شجر معروف (B., L., Pistacia Palæstina; Lc., Térébinthe)

٩) عُرِّف في كتب اللغة بانهُ نوعٌ من البقول ليس الَّا

١٠) قال في اللسان : هو شجر شاكٍ صلب لهُ سِنفةٌ وجناة كجناة السَّمُر ينبت بنجد وتهامة (Lc., Astragale)

١١) الحَرشَف نبت عريض الورق معروف عند الفرنج باسم (Artichaut)

١٢) نبات كالحَرشف في اطراف ورقهِ شوكٍ وقيل انهُ يشبه النَّبَل الَّا انَّهُ اشدُّ خشونةً منهُ ينبت في تروز الارض (B., Festuca cæspitosa L)

والعَلَجان[١] الواحدة عَلَجانة، ويقال راحَ الشجرُ يَراحُ [وتَروَّح] إذا تفطَّر بالنبت قبل الشتاء. وقال عُروة بن الورد (طويل):

لعلّكم ان تصلحوا بعد ما أرى نبات العضاه الثائب المتروِّح[٢]

فإذا أُلبِس خضرة ورقه قيل تمشَّر الشجرُ تمشُّرًا. وأمشرتِ العضاه إذا ظهر ورقها. والورق المشرة. (ويقال تمشَّر الرجل إذا اكتسى بعد عُري من الثياب)، ويقال خضبتِ الأرضُ خُضوبًا إذا ظهر نبتها عن مطر، وحنط الطلح [وأحنط] أدرك ثمره. قال الراجز:

عَيْثَرانٌ[٣] ويبيسٌ قد حَنَطْ

(ويُروى: «عَبَوْثَرانٌ» قال ابو حاتم: وأنشدني معمر:

كأنّني جاني عَيْثَرانْ

(وقال ابو حاتم: الناس يقولون «عبوثِران» بكسر الثاء وهو خطأ)، وأمصع الرِّمث إذا يبس وبدت في ثمره خضرة وصفرة، ويقال نضخ الشجر ينضخ نضخًا إذا تفطَّر للتوريق. قال ابو طالب [بن عبد المطّلب] (خفيف):

بورك الميّتُ الغريب كما بو رك نضخُ الرمّانِ والزيتونِ

والرَّبْل[٤] وجماعه الربول. وهي ضروب من النبات يظهر فيه خضرة إذا وجد ريح الشتاء وأدبر عنه الصيف من غير مطر، والخِلْفة النبات

---

١) ويقال العَلَج ايضًا وهو نبت وقيل شجر مُظْلم الخضرة لا ورق له وانما هو قضبان جُرْد

٢) ويروى: الثائب المتروّح. يقول لعلّ حالكم تحسن كما يحسن منظر العضاه بعد يُبسه

٣) العَبَوْثَران والعَيْثَران نبات طيّب للاكل له قضبان دقاق وهو ذَفِر الريح طيّبة (Lc., Armoise)

٤) الرَّبل ضروب من الشجر يتفطّر ورقها اذا ادبر الصيف وبرد الزمان

يَنْقُبُ وَرَقًا اَخْضَرَ بَعْدَ وَرَقٍ. قَالَ ذُو ٱلرُّمَّةِ (طويل):

مُكُورًا وَنَدْرًا مِنْ رُخَامَى وَخِلْفَةٍ ... وَمَا ٱهْتَزَّ مِنْ ثُدَّائِهِ ٱلْمُتَرَبِّلُ [1]

وَمِنَ ٱلنَّبَاتِ ٱلرِّبَّةُ [2] وَٱلْجَمْعُ ٱلرِّبَبُ وَهُوَ نَبْتٌ تَدُومُ خُضْرَتُهُ، وَمِنْهُ ٱلْحُلَّبُ [3]، وَٱلْمِنْجَمُ [4]، وَٱلثُّرْمَانُ [5]، وَٱلْحُمَّاضُ [6]، وَٱلنَّقَدُ [7]، وَٱلتَّنُّومُ [8]، وَٱلنَّمِيرُ أَنْ يَيْبَسَ ٱلْبَقْلُ ثُمَّ يُصِيبُهُ ٱلْمَطَرُ فَيَنْبُتُ تَحْتَهُ بَقْلٌ اَخْضَرُ فَذٰلِكَ ٱلْأَخْضَرُ هُوَ ٱلنَّمِيرُ قَالَ زُهَيْرٌ (طويل):

ثَلَاثٌ كَأَقْوَاسِ ٱلسَّرَاءِ وَنَاشِطٌ ... قَدِ اخْضَرَّ مِنْ يُبْسِ ٱلنَّمِيرِ جَحَافِلُهْ [9]

(وَيُرْوَى: مِنْ لَسٍّ. قَالَ: اَللَّسُّ أَخْذُ ٱلرَّاعِيَةِ بِٱللِّسَانِ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ ٱلنَّبَاتِ)، وَٱلنَّشْرُ أَنْ يَيْبَسَ ٱلْبَقْلُ ثُمَّ يُصِيبُهُ ٱلْمَطَرُ فَيَخْضَرُّ بَعْدَ ٱلْيُبْسِ فَإِذَا أَكَلَتْهُ ٱلْمَاشِيَةُ أَصَابَهَا عَنْهُ دَاءٌ يُقَالُ لَهُ ٱلسُّهَامُ، وَٱللَّوِيُّ مِنَ ٱلْبَقْلِ ٱلَّذِي قَدْ يَبِسَ بَعْضَ ٱلْيُبْسِ وَفِيهِ نَدَاوَةٌ وَيَكُونُ أَيْضًا بَعْضُهُ أَخْضَرَ. يُقَالُ: أَلْوَى ٱلْبَقْلُ إِلْوَاءً شَدِيدًا [وَلَوِيَ لَوًى] وَٱلْتَوَتِ ٱلْأَرْضُ. قَالَ حُمَيْدٌ (رجز):

---

١) اي رَعَى مُكُورًا. ومكور جمع مَكر وهو نبات مرّ ذكرهُ (ص ٨٧٥). والنَّدْر القليل كالنَّزْر. والرُّخامى ضرب من المُلَفَّة مرَّ ذكرها (ص ٨٧٨) ويروى: رُخامى وخِطْرةٍ. والثُّدَّاء مرَّ ذكرهُ (ص ٨٧٦)

٢) وقيل انَّ الرِّبَّة كلُّ ما اخضرَّ في القيظ او دامت خضرتهُ شتاء وصيفًا من جميع ضروب النبات وقيل انها شجرة الخرنوب ٣) الحُلَّب مرَّ (ص ٨٧٥)

٤) المِنْجم. قال ابو حنيفة: المِنْجِم والمِنْجَم واحد (راجع ص٦٤٦)

٥) قال في اللسان: الثُّرمان نبات اخضر في أُرومةٍ يُبيدهُ الشتاء ولا خشَب لهُ انما هو مرعى ٦) مرَّ ذكر الحمَّاض (ص ٦٤٥)

٧) النَّقَد والنُّقُد وُصف في كتب اللغة بانَّهُ ضربٌ من الشجر دون تعيين

٨) مرَّ وصف التَّنُّوم بين ذُكور النبت ٩) يصف ثلاث أُتُن شبَّهنَ لضُمرهنَّ باقواسٍ اتُّخذت من السَّراء وهو شجر القسيّ. والناشط الحمار. ويروى: ومِسْحَلٌ. يقول انَّ هذا الحمار في خصب يرعى ما اخضرَّ من النبات وخضرتهُ في جحافلهِ وهي شفاههُ

حَتَّى إِذَا تَجَلَّبَتِ ٱلْقَوِيَّا (١

(قَالَ أَبُو بَكْرٍ: تَجَلَّبُ. وَٱلتَّجَلُّبُ طَلَبُ ٱلْكَلَإِ)، وَٱلْخَلَى (مَقْصُورٌ) وَهُوَ ٱلنَّبْتُ ٱلرَّقِيقُ كُلُّهُ مَا دَامَ رَطْبًا، فَإِذَا يَبِسَ فَهُوَ حَشِيشٌ. وَلَا يُقَالُ حَشِيشٌ إِلَّا لِلْيَابِسِ، وَمَا كَانَ مِنْ وَرَقٍ لَيْسَ بِعَرِيضٍ إِنَّمَا هُوَ خُوصَةٌ فَهُوَ هَدَبٌ وَهُوَ وَرَقُ ٱلْأَرْطَى(٢ وَٱلْأَثْلِ(٣ وَٱلْغَضَا(٤ وَٱلطَّرْفَاءِ(٥ وَٱلْأَثَابِ(٦ وَٱلْآءِ(٧ ٱلْوَاحِدَةُ آءَةٌ. قَالَ زُهَيْرٌ (وافر):

لَهُ بِٱلسِّيِّ تَنُّومٌ وَآءٌ (٨ (ستأتي البقيَّة)

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

وفي ايام ناصر الدين (٩ في اوائل محرَّم سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٦م) كان فتوح

---

١) يذكر اتانًا تطلب المرعى. تجلَّاهُ تبيَّنهُ ٢) مرَّ ذكر الارطى

٣) الأَثْل شجرٌ كالطرفاء الّا انهُ اعظم منها واجود عودًا تُتَّخذ منهُ الأقداح الصُّفْر الجياد والقصاع والجفان وورقهُ هَدَبٌ طوال دقاق ولاشوك لهُ وثمرتهُ حمراء: (L., Tamarix articulata; Lc., Tamarin)

٤) مرَّ ذكر الغضا

٥) قال ابو حنيفة: الطرفاء من العضاه وهُدبهُ مثل هدب الأَثْل وليس لهُ خشب وانما يخرج عصيًا سَمْحةً في السماء وقد تتحمَّض بها الابل اذا لم تجد حمضًا غيره (L., B..Tamarix; L., Tamarix articulata; Lc., Tamarix Μυρίκη)

٦) الاثاب شجر ينبت في بطون الاودية بالبادية وهو وارف الظلّ

٧) لم نجد للآءِ وصفًا سوى انهُ من الشجر وقيل انَّ الآء ثمر السَّرْح

٨) يصف زهير ظليمًا باتمًا في ارضٍ وبها نباتا التَّنُّوم والآء

٩) جاء في الحاشية ما نصُّهُ: وفي سنة اثنتي عشرة (كذا) وسبعمائة تُرّع عن ناصر الدين الحسين واقاربهِ درك ما بين انطلياس وبيروت واستقرَّ دركهم ميناء الحصن وميناء الربيلة. وقد وجدتُ محضرًا كُتِب بهذه الكائنة من مضمونهِ ان شواني الفرنج الجارية في بحر المالح حضروا الى ميناء الدامور ليلة الاربعاء خامس جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعمائة فرأوا نارًا لاحت لهم من جهة القرية فتبعوها وكان بالقرية شمس الدين عبدالله واخوه فخر الدين عبد الحميد ولدا

كسروان(١ فقصد الجبل ومعهُ أقاربهُ وجمعهُ. فقُتِل منهم الامير نجم الدين محمَّد واخوهُ شهاب الدين احمد ولدا الامير جمال الدين حجي في نهار الخميس خامس شهر محرَّم المذكور بقرية نيبيه من كسروان وقُتل معهم من اهل الغرب ثلاثة وعشرون نفرًا. وكانت وقعة نيبيه المذكورة وقعةً رديئة لانَّ اهل كسروان تجمَّعوا وقاتلوا بها وكان هناك مغارة اجتمعوا فيها بعد القتال. وذُكِر ان عدد اهل كسروان بلغ اربعة آلاف راجل فهلك منهم بالسيف خلقٌ كثير والذين سلموا منهم تفرَّقوا في جزّين وبلادها وفي البقاع وبلاد بعلبك. ومنحت الدولة لبعضهم الامان. وحصل لناصر الدين انكارٌ من الدولة لانَّ البعض بلَّغوا السلطان عنهُ أنَّهُ تعرَّض الى من أُعطي الامان من الكسروانيين في مرودهم على بلد بيروت. وكان الذين نقلوا هذا الخبر الى الدولة نقلوهُ كذبًا وافتراء. وكُتِبت في ذلك محاضر رأيتُ بعضَها

وهذه اسماء النوَّاب الذين اجتمعوا على كسروان: الجمالي اقوش الافرم نائب الشام والسيفي استدمر نائب طرابلس والشمسي سنقرجاه المنصوري نائب صفد(٢. وذُكِر انَّ النوَّاب (47) المذكورين جلسوا على بساط في يوم من ايَّام حرب كسروان ومع كلّ من نائبي طرابلس وصفد خنجر. وكان ناصر الدين واقفًا عندهم مشدود الوسط بمنطقة وخنجر فاستلَّ النائبان خنجريهما على طريق اللعب والمجون وجعلا يمزحان مع نائب الشام اقوش ويضحكان منهُ لكونهِ بدون خنجر. فهمَ ناصر الدين ان يعطي لنائب الشام خنجرهُ فمنعهُ من ذلك الاحترام وخشي التجرّي على مثل ذلك لكنهُ ندم بعدئذٍ على تقصيرهِ لانَّ الامر كان في محلّهِ. ثمَّ رجع ناصر الدين الى المكان الذي كان نازلًا بهِ فما كاد يصل اليه حتى ارسل نائب الشام يطلب منهُ خنجرهُ فاعطاه ايَّاهُ بعد فوات محلّهِ

وفي أيَّام ناصر الدين في عيد الاضحى سنة اربع وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٣) حضرت

جمال الدين ومعهم جماعة يشتغلون بالزراعة في الدامور وهم نيام مطمئنّون الى اليزك المرتَّب على مينا الدامور يتولاهُ بنو المدس و بنو السوبَرَاني فاوقع الفرنج فيهم واخذوا اسرى كلّ من قدروا عليهِ ومن لم يقدروا عليهِ اجتهدوا في قتلهِ. فكان من عدد المقتولين فخر الدين عبد الحميد ومن المأسورين شمس الدين عبد الله اخوهُ. وتاريخ هذا المحضر في ثاني وعشرين جمادى الاولى سنة إثنين وسبعمائة وكتب الطاهر (؟) انَّ هذا المحضر كُتب شهادة على إهمال بني المدس وبني السوبَرَاني ليزكهم وتثبيتًا فيما فرَّطوا بهِ والله اعلم

١) مرَّ ذكر هذه الواقعة في الصفحة ٢٧٥ ٢) مرَّ ذكرهم سابقًا (ص ٢٧٥)

شواني للفرنج الجنويين الى بيروت قاصدين اخذ قرقون (١ لطائفة الكتيلان (٢ في ايام ولاية عزّ الدين البَيْسري (٣ من قبل تنكز نائب الشام. وقصد المسلمون منع الجنوية من اخذ القرقون فقاتلوهم قتالًا شديدًا لكنهم لم يقووا على منعهم. وقُتل جماعة من الجند والرجال وجُرح بعض الامراء بعرامون ودخل الجنويّة الميناء واخذوا الاعلام السلطانية من البرج وقُتل جماعة في البرّ وانهزم المسلمون فقاتلهم الجنويّة في الازقّة. ويُذكر انّ القتال استمرّ بينهم يومين (٤. ثم طُلِب امراء الغرب وتركمانُ كسروان الى دمشق فحصل لهم هناك اهانة واذيّة ما خلا ناصر الدين فانّهُ أُخرج عنهُ لانهُ كان مصادقًا لامير يقال لهُ صاروجا (٥ فارسل (47^٧) صاروجا زوجتهُ الى حريم تنكز ليتكلّمنَ في ناصر الدين ففعلنَ. وكان لتنكز ولدٌ ارسلتهُ امهُ اليهِ ولقّنتهُ ما يقول فتلطّف الولد بالامر فنجحت القضيّة ولم يُسجن ناصر الدين بالقلعة الّا ايامًا قلائل فقال (٦:

قالوا حُبِسْتَ فقلتُ ليسَ بضائري ... حبسي وايُّ مُهنَّدٍ لا يُغمَدُ
او ما رأيتَ الليثَ يألف غِيلهُ ... كبرًا واوباشُ السباعِ تَرَدَّدُ (٧
والنار في احجارها مخبوءةٌ ... لا تُصطلى إِنْ لم تُثِرْها الأَزنُدُ
والحبس اذ لم تغشَهُ لجريمةٍ ... شنعاء نعم المنزل المتوردُ
بيتٌ يُجدِّدُ للكريم كرامةً ... فيُزار وهو لا يزورُ ويُحمَدُ

وصاروجا كان منسوبًا الى تنكز وبعد حبس تنكز بمدّةٍ قليلة أُمسك صاروجا واحتاطوا على حواصلهِ وسجنوهُ في القلعة ثم اطلقوهُ سنة احدى واربعين وسبعمائة

١) نظنُ انّ القرقون كالقَرْقور وهي السفينة الطويلة معرَّب عن اليونانيّة κέρκουρος
٢) الكتيلان (Catalans) قوم من فرنج الاندلس كانوا محالفين للمسلمين
٣) لم نجد لعزّ الدين اليسري ذكرًا في غير هذا التاريخ
٤) ورد ذكر هذه الواقعة في كتاب اخبار الاعيان (ص ٢٣٥)
٥) جاء في حاشية الكتاب: «وبعد اخذ مركب الكتيلان وحركة الجنويّة الزم نائب الشام ناصرَ الدين واقاربهُ بان يقيموا في بيروت مدّةً طويلة فاتخذوا فيها حارة الميناء على جانب البحر وابطلوا الكنيسة التي كانوا يترلونها اوّلًا كما ذكرنا». وصاروجا هذا اصلهُ من دمشق ورُوي اسمهُ بالسين «ساروجا». ولعلّهُ هو الذي ذكرهُ ابن اياس في بدائع الزهور (١: ١٦٦) في تاريخ سنة ٧٣٣ هـ وقال انهُ كان نقيب الجيوش وانّهُ صاحب الجامع الذي عند بركة الرطلي
٦) هذه الابيات قالها عليّ بن جهم الشاعر المشهور لمّا امر الخليفة المتوكّل بحبسهِ (راجع مجاني الادب ٣: ١٥٣)
٧) ويروى: تَصيدُ

(١٣٤٠ م) . وكانت اعيَنه من جملة اقطاع ساروجا . وحُكي عنهُ أنهُ عرض على ناصر الدين ان ينزل عن اعيه الى بيت مال المسلمين فيشتريها ناصر الدين ملكاً من بيت مال المسلمين وانهُ يقرضهُ في ثمنها الف دينار . فلم يوافقهُ ناصر الدين على ذلك . فقال صاروجا : انتَ قد صار لك في اعيَنه عمائر كثيرة وهي لا تصلح الّا لك فاشترِها . فقال : انَّ اقاربي لهم املاك باعيه فان اشتريتها يطمعون بي وما يعطوني خراج املاكهم واكون قد تكلفتُ ثمنها بلا فائدة . ولناصر الدين مديح في صاروجا (48) :

اذا رُمتَ من مرّ الحوادث تفريجا   فلُذْ بالمقرّ الاشرف القَيْل صاروجا[1]
هو الصارمُ المشهورُ في قمم العدى   وبحرُ الندى في السلم والموت والهيجا
حمى بيضة الاسلام في يوم شَخْبٍ[2]   فكم نهر ماء من دما المُقل ممزوجا
وكم يوم حربٍ قد جلاهُ وكم لهُ   ايادٍ بفيض الجود كالغيث مثجوجا
فلا عدِمَتْهُ دولة ناصريَّة   لها علَمًا[3] بالعدل والنصر منسوجا
ولا زال محروس الجناب وبابُهُ   محطُّ رِحال الحمد بالمدح محجوجا

(ستأتي البقيَّة)

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريتو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

الفصل الخامس

من مرسيلية الى نيويرك

فلمّا انتهى المهاجرون الى المحطَّة أُدخلوا عشرةً عشرةً في مركبات الطبقة الثالثة وأُجلسوا على مقاعد من خشب . ولو كان فاضل في حالة غير حالتهِ لاندهش من وفرة المركبات والقواطر العظيمة التي يتدفّق منها الدخان اكثر من اتون مضطرم ومسيرها بتلك السرعة الغريبة لانهُ لم يكن رأى قطُّ عجلات كهذه تباري الريح باجنحة من نار الّا ان النكبات التي اصابتهُ جعلت قلبهُ منقبضاً وغير مستعدّ لشيء من ذلك فكان من ثمَّ يلتفت باحتراس ذات اليمين وذات الشمال وهو متخوّف من كل الناس وقابض بيدهِ على الدراهم القليلة التي كانت قد بقيت في جيوبه بعد أن سُلبت منهُ منطقتهُ

١) ذكر ابن سباط هذه الابيات في تاريخهِ . وهو يروي : من امْر الحوادث
٢) رواية ابن سباط : حمى جحفل الاسلام في يوم شَخْب   ٣) في الاصل : جا علمٌ

ثم أنهُ اعتكر الظلام في تلك الليلة ونفخت الريح الشمالية وقرس الزمهرير فاختار كل واحد من ركاب الدرجة الثالثة محلاً وجلس فيهِ بعد ان وضع الى جانبهِ امتعتهُ وأطمارهُ ثم غطى وجههُ بمنديل (فوطة) بالٍ ورقد رغماً عن شدّة البرد. وكان بعد مدة أن صفرت القاطرة صفيرًا مزعجاً فنبهت المهاجرين من سباتهم فتبادلوا بعض كلمات ثم استأنفوا الرقاد بينما كان القطار يسير بهم في بلاد يجهلونها وأرض ليس لهم اقلّ إلمام بها. ولما تنفّس الصباح وانتهوا الى سهول كامارغ (Camargue) اشتدَّ هبوب الريح الشمالية اشتدادًا قويًا فكانت تثير التراب وتتلاعب بهِ في الجوّ. فالتفّ فاضل بثيابه وجلس مقنفعًا. وكانت الساعات تنقضي وهو كئيب حزين ولا شيء يسلّيهُ ويزيل ما استولى عليهِ من السآمة والضجر. واما القطار فكان متابعاً سيرهُ الّا انَّ سرعتهُ قد تراخت لانهُ كان يقف في كلّ قرية يمرّ عليها ولهذا سبقهُ القطار الباريسي الناقل الى نيس وموناكو عددًا عديدًا من الاغنياء وذوي الثروة لترويح النفس في ذينك المحلّين. وكانت مقاعد هذا القطار المخصص بركوب الاغنياء وثيرة ناعمة بخلاف القطار الذي ركب فيهِ فاضل ورفقاؤهُ فان مقاعدهُ كانت من خشب. على أنهُ اذا كان الاغنياء يتنعّمون بالمفروشات الناعمة فان الفقراء ما زالوا اسعد منهم واحسن حالاً لانهم مع قلّة ذات يدهم خالون من الأوزار التي يتلطخ بها الاغنياء.

وبعد ان صرف الركّاب يومين وليلةً في القطار وقد سئموا من التسلّي بلعب الورق وتعبت جنوبهم من الجلوس على المقاعد الخشبيّة وصل القطار اخيرًا الى بوردو فنزل المستخدمون وبايديهم المشاعل واخذوا يصرخون «بوردو بوردو». فأفاق الركاب مندهشين وتطلّعوا في المحطّة فرأوا قناديلها الكهربائية ما زالت متّقدةً. وكانت الساعة التاسعة ونيّف غير ان المستخدمين ما زالوا يدورون ويصرخون بوردو بوردو حتي نزل الجميع مستصحبين ما لديهم من الامتعة وبعدَ ان مرُّوا ببطء أمام مأموري الجمرك أُدخلوا الى احد الفنادق الحقيرة حيث صرفوا بقية الليل

وفي اليوم التالي سيقوا الى رصيف البحر لانزالهم بهم في سفينة تنقلهم الى اميركة فشاهدوا حوضاً كبيرًا كان قد أُنشيء سنة ١٨٦٩ لاجل رسوّ السفن الكبيرة. ثم أُركبوا بعض القوارب التي أقلّتهم الى سفينة اسمها «مدينة بوردو» من شركة الترنسلنتيك

وكان ركوبهم السفينة في الساعة الثامنة صباحاً وموعد سفرها في الساعة السادسة

مساء. وبناء عليه اتّسع الوقت لفاضل ان يُشبع نظرهُ من مرأى السُّفن الكثيرة المحتشدة في الحوض ومشاهدة ما يحاذي الرصيف من الابنية العظيمة والمخازن الانيقة. وبينا هو متكئ على الدرابزين تذكَّر انهُ لم يبعث الى والدته برسالة تريح افكارها من قبلهِ فتناول من جيبهِ قطعةً من قصب واخرج سكّيناً واقبل يبريها ثم امسك ورقةً بشمالهِ وجعل يكتب فأخذ التجّارة يحدقون النظر فيهِ متعجبين من كتابتهِ باداة من القصب. لانهم لم يكونوا قد رأوا ذلك قبلًا

وبعد ان سرد بعض عبارات ايضاحاً للحزن الذي اصابهُ بانفصالهِ عن والدته اخبرها بانهُ وصل اوَّلًا الى مرسيلية ومنها ذهب الى بوردو وسيذهب من بوردو الى اميركة وسألها ان تطمئن بالًا من نحوهِ فانَّ صحّتهُ جيدة ولا ينقصهُ شيء سوى مشاهدتها. وختم الرسالة طالباً من الله حفظها وطول بقائها وملتمساً منها ان تبلغ سلامهُ الى كل سائل عنهُ. ثم انهُ كتب حاشية موعزًا اليها ان لا تصدّق ما يصل اليها من الاخبار الكاذبة عنهُ

ودقَّت وقتئذ ساعة السفر فوقّع فاضل الرسالة بسرعة وختمها وكان قد أخبرها فيها عمّا شاء وسكت عمَّا اراد كتمانهُ وقال في نفسه انهُ اذا بلغتها حكايتهُ في مرسيلية وما جرى لهُ فيهما تجزم بلا ريب انَّ الحادثة وقعت لغيره ممن يُسمَّون باسمهِ. وعلى ذلك فان رسالتهُ تصل اليها في الوقت المناسب فتزيح عن افكارها غياهب الوهم ومتى عاد من سفرتهِ ناجحاً غانماً يثْبِت لنفسه من الذين استهزأوا بهِ وتهكموا عليهِ وهكذا يفهمهم انهُ ليس من السذاجة بالمكانة التي توهَّموها فيهِ

ثم انسابت السفينة بين ضفتي الجيروند (Gironde) حيث يبلغ اتساع النهر سبعمائة متر وما طالت المدَّة حتى انتهت الى وسط البحر المحيط العجّاج المتلاطم الامواج وما مخرت فيهِ برهةً حتى غابت الارض عن الابصار وما عاد يرى احد سوى سماء وماء

وبعد مرور ثمانية أيام التفت الركاب عند شروق الشمس فشاهدوا المصايف والفنادق في « كوني ايلاند » التي كانت وقتئذ مُقفرة بسبب فصل الشتاء مع أنها كانت في أيام الصيف تموج موجاً بجماهير المتنزهين والمستحمين. ثم انَّ السفينة دخلت ميناء نيويورك التي تبلغ سعةُ مرفئها مئة كيلومتر وماكادت ترسو فيهِ حتى وفدت باخرة صغيرة فاقلّت المهاجرين سائرة بهم في قناة قليلة الماء الى محلّ يدعى « اليس ايلاند » حيث شُيّدت هناك سقائف اكبر واوسع من السقائف المبنيَّة في مرسيلية تسع نحو عشرة آلاف مهاجر

وسبب ذلك ان الغرباء الذين يغشون الولايات المتحدة كلّ سنة لا يقلّون عن ثمانمائة الف بمعدَّل الف نسمة في كل اربع وعشرين ساعة. على ان هـذا السيل البشري المدفوع بالطمع المفرط في الذهب قد اغار على كلّ شيء من صناعة وزراعة وتجارة فانّ المهاجر الجديد يزحم المهاجر الذي سبقهُ ويضغطهُ المهاجر الذي يتلوهُ وهكذا يشتدّ العراك المحافظة على الحياة ويتعدّد الحزاء. ولكن لا يلبث السيل البشري ان يملأه وما من احد يفتكر بمن يسقط الّا ليبتهج بان سقوط غيره أدّى الى اتساع محلّه

امّا الاميركيون فينظرون باحتقار الى الفقراء الذين يذهبون اليهم ليحصّلوا رزقهم باعراق جباههم ومن جهة أُخرى يخشون ان يكثر الخلق في بلادهم الى حدّ ان تضيق وجوه المعاش بالسكّان. الّا أنهم حتى الآن لم يتّخذوا الوسائل الجازمة بمنع المهاجرة وقد اقتصروا على ان لا يقبلوا بينهم الّا الاصحّاء والاشدّاء المالكين لمبلغ من المال يكفيهم الى ان يجدوا عملاً يقوم بمعيشتهم

ومن ثمّ فمتى انتهت السفن الى موانيهم يعمدون الى تفقّد الركّاب لئلّا يدخل اليهم من لا يريدونهُ. وعملاً بهذه القاعدة نزل المأمورون المعينون الى السفينة «مدينة بوردو» لاجل زيارتها فلمّا شاهدهم فاضل اخذ يرتعش فرقاً لاسيّما لمّا رأى انهم منعوا بعض رفقائهِ من النزول الى البرّ موجبين عليهم ان يعودوا على الباخرة التي نقلتهم الى حيث اتوا. وطفق يقول في نفسهِ اذا كانوا قد منعوا هؤلاء الرفاق الذين هم احسن مني حالاً فكيف استطيع ان أُفلت منهم

وبينما كان يفكر في هذا كان المأمورون المذكورون قد اوشكوا ان ينتهوا اليه فانقبض قلبهُ وخارت عزيمتهُ وكاد ان يسقط فلمّا وصلوا اليه خصّهُ من رأسهِ الى قدمَيهِ وكانوا يقيّدون كلّ ما يتراءى لهم في سجلّ كبير. ثم سألوهُ عن اسمهِ فقال: اسمي فاضل. وعن جنسيّتهِ فقال: انني سوريّ. وعن صنعتهِ فسكت. فظنّ المأمور انّهُ لم يفهم. فقال: اي شيء. كنت تعمل في سوريّة قبل ركوبك البحر؟ فاجاب فاضل: كنت اقلع التوت واربّي دود القزّ. فقال المأمور: أَلِمثل هـذا جئتَ الى اميركة والى اين تذهب الآن؟ فاجاب فاضل: الى سان فرنسيسكو

— واي شيء تريد ان تتعاطى في سان فرنسيسكو؟

— التجارة

— ألا تعلم انَّ من شاء ان يحصل الاموال في اميركة يجب عليه ان يكون عارفًا بشيء آخر غير تربية الدود وفلاحة التوت ؟

— اني انجح في التجارة

فقاطعهُ المأمور قائلًا: هب انك تنجح ولكن هل بيدك دراهم ؟

فتذمَّر فاضل من هذا السؤال قائلًا: امَّا الدراهم فكان معي منها مبلغ ولكن احد النشَّالين سَلَبَنيها في مرسيلية. فقال المأمور بكل برودة وهدوء: اذًا تعود الى مرسيلية

فوقع هذا الكلام على فاضل وقوع السهم فانحنى على قدمي المأمور يتوسَّل ويبتهل فما اجداهُ التذلل فتيلًا. فلمَّا قطع الرجاء اخذ ينتفُ شعرهُ ويلطم خدَّهُ ولكن كلَّ هذا ما كان ليرقق قلب الشرطيّ الاميركي عليهِ بل امر احد رفقائهِ فدفعهُ الى احدى زوايا السفينة حيث تجسَّم اليأسُ امام عينيهِ بصورة هائلة فلجأ الى السكوت بدلًا من الصياح واستند بيديهِ الى درابزين السفينة لانَّ رجليهِ ما كانتا تقويان على حملهِ. واخذ يتطلَّع بعين دامعة في بسيط المياه الخضراء بينما كانت القوارب تذهب وتجيء لنقل البضائع والركاب. ولشدة الحزن لصق حنكاهُ احدهما بالآخر وتقلَّص وجههُ وبقي هناك حيران مبهوتًا دون ان ينطق ببنت شفة. وكان التجارة يجيئون ويذهبون ويصدمونهُ صدمات قويَّة وهو واقف في موضعهِ لايبدي حراكًا. وكان متكئًا ايضًا على الدرابزين بعض رفاقهِ من السوريين الذين لم يؤذن لهم في الدخول الى الارض التي طالما تشوَّقوا اليها

امَّا السفينة « مدينة بوردو » فكانت مزمعةً ان تعود يوم السبت الى مرسيلية باولئك المساكين مرجعةً اياهم الى الموضع الذي سافروا منهُ حيث يكفّرون بالدموع والشقاء عن طمعهم المفرط في تحصيل الغنى. ولكن هل احد من اولئك المهاجرين كان يفتكر في هذه الامور ؟ كلَّا وانَّما كانوا يلعنون الشرطية الاميركيين واصفيهم بالظلم والقساوة وغلاظة القلب

(ستأتي البقية)

شتّى

زيارة ملوك هوهنتزلرن للاراضي المقدسة

لا يخفى ان جلالة امبراطور المانية الذي شرَّف ديارنا في الاسبوع الماضي هو سليل

دولة الهوهنزلرن ذات المجد الاثيل والشرف العالي المنير ويرتقي اصل هذه السلالة الى القرن العاشر للميلاد (١. وقد تفرعت في اواخر القرن الثالث عشر الى فرعين فالفرع البكر لم يزل منهُ الى يومنا امراء ذوو رفعة وشأن وكلهم يدينون بالدين الكاثوليكي كاجدادهم. ومنهم كان اول ملوك رومانية الامير شرل الاول دي هوهنزلرن الذي تبوأ سلطنة الرومان سنة ١٨٦٦. اما الفرع الثاني فمنهُ ملوك المانية في زماننا

وقد حجّ الاراضي المقدسة قبل الامبراطور الحالي كثيرٌ من امراء واشراف هذه الدولة حتى أنهُ طبع في المانية كتابٌ مطوَّل في تاريخ زيارة هؤلاء الملوك للقدس الشريف نخصُّ منهم بالذكر الكنت فردريك دي هوهنزلرن الذي شخص الى المشرق نحو سنة ١٣٢٠ وقضى نحبهُ في غضون عودتهِ الى وطنهِ. ومنهم البرغراف (الامير) ألبرخت المعروف بالجميل (Albrecht der Schoene) الذي قدم الى سورية نحو سنة ١٣٤٠

وكان والد الامبراطور الحالي فردريك غليوم تبرَّك بزيارة القدس الشريف في سنة ١٨٦٦ وهو اذ ذاك وليّ العهد. وفي اثناء زيارتهِ هذه استلم باسم دولتهِ قطعة ارضٍ اهداه ايّاها السلطان عبد العزيز خان موقعها بمقربة من القبر المقدس في موضع كان يُعرف بالمارستان لم يزل فيهِ اطلال دير قديم بناهُ فرسان القديس يوحنا. فصار اذ ذاك حفلة شائقة حضرها كلّ نزلاء بيت المقدس من الالمان مع فرقة من البحّارة البروسيانيين وعدد غفير من شرفاء الزوّار الالمانيين

فمذ ذاك الحين نوت الدولة الالمانية ان تقيم ثمَّت كنيسة بروتستانية. ولم يُنجز هذا العمل الّا في هذه السنة فصار تدشين المعبد في ٣١ تشرين الأول كما رواهُ البشير في اعدادهِ الاخيرة. وهذا البناء ذو ثلاثة قناطرٍ طولهُ اربعون مترًا وعرضهُ ٢٣. اما قبَّة ابراجهِ فلم تنتهِ بعد وسيبلغ ارتفاعها ٤٥ مترًا وقد رسم صورة هندستها الامبراطور بنفسهِ واختارت الامبراطورة آياتٍ من الاسفار المقدَّسة لتُرسم على برجها الأكبر ل.ه

اكتشاف ناووس فينيقي في فرنسة

انّ الآثار الفينيقية المكتشفة في سواحل اليونان وايطالية وفرنسة واسبانية في هذا

---

١) ومن هذه العائلة كان القديس مَينْرد الناسك الشهيد المتوفى في القرن العاشر (راجع السكار الروماني في ٢١ ك٢)

المصر كانت شاهداً بيّناً على نشاط الفينيقيين وتجشمهم الاسفار البعيدة في سبيل التجارة. فمن جملة هذه الآثار الكتابة الفينيقيّة التي وُجدت في برسيلية منذ بضعة اعوام فصار لاكتشافها شأن عظيم بين العلماء. وقد ذكرنا في بعض اعدادنا الماضية (ص ٥٧١) انّ مدينة مرتاكو احدى مستعمرات الفينيقيين. الّا ان المستشرقين كانوا يظنّون ان ظاق نفوذ اهل فينيقية لم يتجاوز سواحل كلّ بلد لكنّ في هذه السنة بينما كان عَمَلة مدينة اثينيون يحفرون في بعض شوارع بلدتهم التي موقعها بعيد عن ساحل البحر وقفوا على ناووس قديم كُتب على احد جوانبه بالفينيقية انّ هذا الناووس ضريح اميرة اسمها لَبْقَة. فجاء هذا الاكتشاف دليلاً ساطعاً على توغّل الفينيقيين في وسط البلاد الاوربية فضلاً عن سواحلها

اكتشاف عاديّات في اثينة

كان المؤرخ اليوناني بوسانياس في اواخر القرن الثاني للمسيح وصف في جملة آثار اثينة تمثالاً للمشتري الاوليي نحتَهُ المصوّر الشهير فيدياس وكان هذا التمثال من الذهب والعاج يُعَدّ من طرائف الاعمال وعجائب الزمان. اخنى عليه الدهر فتلف وكان لهذه الدمية ركنٌ بَناهُ حسناً واحكاماً. فقد اسعد الحظّ جمعية العاديّات الالمانية في اثينة ان تكتشف هذا الركن مؤخراً

وقد أطلعت ايضاً هذه الجمعية على اثر آخر اجلّ واشرف ألا وهي كنيسة مسيحية يرتقي عهدها الى اوائل النصرانية وهي على شكل دياميس رومة كان يجتمع فيها قدماء النصارى لاقامة فرائض الدين في زمن الاضطهادات والمحن. فيثبت هذا الاكتشاف ما ورد في كتاب اعمال الرسل عن انتشار الدين النصرانيّ في عاصمة اليونان

تقدّم الجراحة

لا يزال فنّ الجراحة في تقدّم دائم فقد اجرى بعض الجرّاحين عمليّات غاية في الدقّة والخطر افضت الى نجاح تامّ بشفاء من كان مبتلى بالعاهات والاسقام. ومن جملة ما بلغ الجرّاحون من شفائه داء الكُزاز (Tétanos) وكان يُعدّ من الادواء التي لا ينجع فيها دواء. فهم يفتحون الآن قحف راس المصاب به فيداخلونهُ بمصل اكتُشف حديثاً يضادّ للكزاز يدعونهُ المصل المُنفَذ في الجمجمة (sérum intracranien)

التلفون المتكلم

قد اخترع احد عمال البوستة الفرنسية اسمهُ جرمان (Germain) آلة تليفونية غايتها نقل الصوت من مسافة بعيدة خلاء اختباره محققاً لآماله وقد دعا آلته هذه « التليفون المتكلم » وهي لا تختلف عن التليفون العادي سوى ان الصوت ينتهي من التليفون الى انبوب مخروط الشكل فيخرج منهُ صريحاً جلياً بحيث يسمعهُ السامعون. فبالحقيقة انَّ في الطبيعة كنوزاً مدفونة لم يُكشف منها بعدُ الّا النزر القليل لكن ذلك يكفي ليضرم في قلوب البشر حباً نحو ربّ الطبيعة الذي اودع المخلوقات كلَّ هذه القوى العجيبة

البناء بالالومينيوم

يعرف القرّاء انَّ الالومينيوم معدن ابيض ضارب الى الزرقة يُستخرج من الاراضي المحرّقة واشهر خواصه خفّتهُ الغريبة فلذلك يُتخذ لتجهيز كلّ الآلات التي تقتضي متانةً وخفّةً كالآلات الرصدية. وفي هذه السنة قد انجز اهلُ مدينة شيكاغو بناء بيتٍ مرتفع شيّدوهُ بالالومينيوم. وجدران البناء كلّها ايضاً من المعدن نفسه وهي صفحات رقيقة لا يتجاوز سمكها نصف السنتيمتر

نجمٌ مذنّب

قد اكتشف مناظر المرصد الفلكي في مدينة كيل نجماً مذنّباً رصدهُ في البرج المعروف بالتنّين الذي موقعهُ بجوار القطب الشمالي وهو كوكبٌ بهيُّ النور مستدير الشكل يمكن رصدهُ طول الليل

احصاء سكّان البرازيل

يؤخذ من الاحصاء الاخير الذي قامت به دولة البرازيل انَّ عدد سكّان هذه البلاد الواسعة يبلغ ١٤،٣٣٣،٩١٥ نفساً منهم ١٤،١٧٩،٦١٥ كاثوليكياً و١٤٣،٦٨٣ بروتستانياً من شيع مختلفة و٣٠٠ مسلماً والباقي لا يعترفون بدين او هم من الملاّدين

حلّ اللغز الرياضي الوارد في العدد الاخير (ص ١٠٠٧)

حلّهُ واحسن حضرة الخوري جبرائيل رزق مرهج احد اساتذة مدرسة عين طورة قال: يمكننا ان نفترض العدد المطلوب مقسوماً الى قسمين الاول مجهول معبر عنه بحرف ك والثاني ......٤ وعليه فيمكننا ان نستنتج من اصول المسألة هذه المعادلة من الدرجة الاولى:

$$\frac{\text{٤} + \text{١٠ك}}{\text{ك} + \text{٤٠٠٠٠٠}} = \frac{\text{٢}}{\text{٣}}$$

واذا اتممنا العمليات المشار اليها في هذه المعادلة بعد الجبر ونقل المجهول الى جهة واحدة يكون لنا: ك = ٢٨٥٧١ ومن ذلك لنا العدد المطلوب اي ٤٢٨٥٧١ كما لا يخفى والامتحان هين

اسئلة واجوبة

س وسأل الاديب د.ز.: ١ً هل الخطّ العبراني هو اقدم الخطوط: ٢ً من هو كاتب اوّل تاريخ الكون والامم وكيف توصل الى معرفة اخبار الازمنة السابقة لعهده بعد مضيّ سنين عديدة عليها

الخطّ العبراني

ج ليس الخط العبرانيّ اقدم الخطوط وقد سبقتهُ خطوط اخرى كثيرة كالمصري والمسماريّ والفينيقيّ (راجع ص ٨١٥)

اقدم تاريخ العالم

انَّ اقدم تاريخ نعرفهُ الآن انَّما هو تاريخ موسى الكليم الوارد في اسفاره الخمسة المعروفة. امَّا موادُّه فقد جمعها اوَّلًا من تقاليد الآباء الاوَّلين. ثانيًا من تواريخ الامم التي عاشرها كالمصريين وغيرهم. ثالثًا عن كتابات قديمة كخطوط الاشوريين وقد بلغ اليهِ قسم منها بواسطة ابرهيم وذرّيتهِ لمَّا قدم من بلاد نينوى. رابعًا بدرسهِ الخاصّ اذ كان مخرَّجًا بكل علوم المصريين. خامسًا واخيرًا بوحيٍ خصوصي منهُ تعالى لما لم يتوصَّل اليهِ بمعرفتهِ الخاصَّة. هذا وقد عصمهُ الله عزَّ وجلَّ في كلّ ما كتب من الاغلاط والضلال

سألنا جناب ف.ط. احد أُدباء بيروت: ١ً هل ظهر عند اليعاقبة علماء يستحقُّون الذكر بعد ابن العبري: ٢ً من ايّ سنة لم يقم مفريان عند اليعاقبة وما هو اسم آخر مفاريانهم: ٣ً كيف وصل المذهب اليعقوبيّ من نصارى مليبار وفي ايّ سنة: ٤ً في ايّ سنة رخَّص الحبر الاعظم لنصارى مليبار ان يُنَصَّب عليهم اساقفة من جنسهم بدلًا عن الاساقفة اللاتين

١ علماء اليعاقبة بعد ابن العبري

ج ختمنا آخر مقالتنا في ترجمة ابن العبري واعماله بقولنا انَّ بعد ابن العبري لم يتم بين اليعاقبة كاتبٌ يُذكر. وقد افتى بمثل هذا الحكم العلامة المستشرق الانكليزي رَيت في تأليفه عن كتبة السريان فقال «انَّ منار الآداب انطفأ في الكنيسة اليعقوبية بوفاة امامهم ابن العبري» ولكنَّ هذا مما قيل على وجه الاجمال ولا ننكر انهُ صار بعد ذلك لبعض الافراد من شيعة اليعاقبة شهرةٌ بين ابناء جلدتهم كدانيال بن الخطّاب الماردبني الذي توفي بعد ابن العبري بقليل واختصر قسمًا من كتبه بتعريبها ولهُ كتاب الاصول في اخصّ حقائق الدين. ومنهم نوح البطريرك اليعقوبي المتوفّى في اوائل القرن السادس عشر لهُ قصائد في مواضيع شتّى نظمها بالسريانية وهي الى اليوم محفوظة في المكتبة الواتيكانية ولهُ ايضاً ميامر وخطب عربية. وفي خزانة كتب مكتبتنا كتاب كرشوني حسن اسمهُ مركبة الاسرار العقلية من تأليف المفريان باسيليوس شمعون الطوارني أَلَّفهُ سنة ٢٠٤٠ لليونان (١٧٢٩ م) وجدناهُ في جزيرة بني عمر ووجدنا ايضاً كتبًا اخرى حديثة عند بعض اليعاقبة غير انها لا تستحق الذكر. وكذلك في خزانتي كتب الواتيكان ولندرة كتب اخرى ليس لها اهميَّة راجع ايضاً في الكتر اتيِّين للاب ج. قرداحي اسماء بعض شعراء يعاقبة محدثين (ص ١١٣ و ١٣٠)

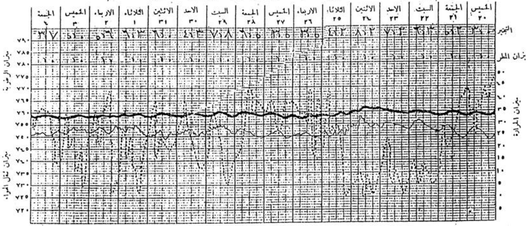
٢ المفارين عند اليعاقبة

لا نظنُّ انَّ اليعاقبة كفُّوا الى يومنا هذا عن اقامة المفارين وهي رتبة عرَّفناها في اثناء ترجمة ابن العبري. وقد ذكرنا هناك انَّ البطريرك الجليل انطون السمحيري قبل ان يجاهر بالدين الكاثوليكي كان مفريانًا على اليعاقبة. وخلفهُ في رتبته سنة ١٨٢٩ المطران باسيل البيا (راجع التاريخ الكنسي لابن العبري ٣: ٥٦٦). اما المفريان الحالي فلا نعرف اسمهُ

٣ و ٤ دخول اليعاقبة في ملبار

دخل اليعاقبة في ملبار سنة ١٦٦٥ وكان اوَّل من دخل تلك البلاد مطران القدس اليعقوبي المدعو غريغوريوس انتهز لذلك فرصة الشقاق الذي كان انتشر وتشذَّر بين النساطرة والكاثوليك الخاضعين لاساقفة لاتين من المرسلين اليسوعيين فدخل الهند وتسمَّى بجار توما الاوَّل وخلفهُ بعدهُ اساقفة من شيعته لم يزالوا يفرغوا وسعهم في استمالة الشعب الى طغمتهم حتى لم يبقَ للنسطورية اثر في تلك البلاد. اماَّ ترخيص البابوات لنصارى الهند ان ينصبوا عليهم اساقفة من جنسهم فلم يجرِ قبل هذه السنين الاخيرة ل. ش

قائمة للآثار الجوية من ٢٠ تشرين الاول الى ٤ تشرين الثاني ١٨٩٨



انّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخط الرفيع المتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) — امّا الخطّ المنقّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملّمترات وعُشر الملّمترات